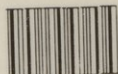


AZIZ

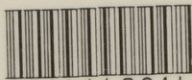
AMRIKA BAYT
JUHA

312

JAN 18 1983



a32101

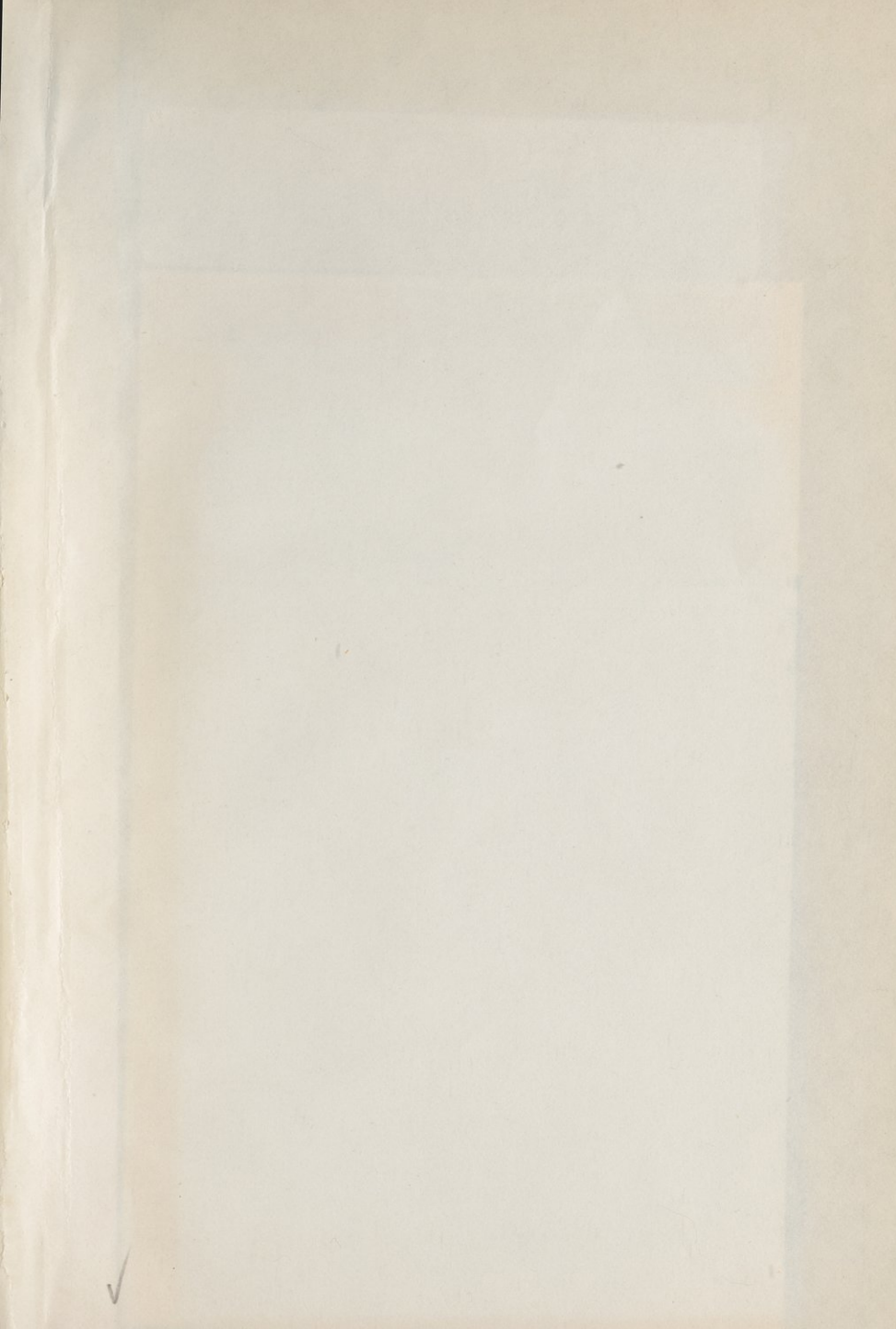


001414901b

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

DATE DUE

JUN 15 2017



امریکا...
پست جما؟!

بفلر
جولائی ۱۹۶۸



'Azīz, Jūrj

جورج عزيز

Amrikā bayt Jubā

أمريكا... بيت صحا؟

ملنزم الطبع والنش
دار المعارف بمصر

2267
10314
312

1024-10314-312

الحی قراء العالم

ودا

محمد عزیز

۵۰۲۵-۶۷
۱۹۸۹

كلمة تمهيدية

قُبيل سفرى إلى الولايات المتحدة فى الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٥٣ ، كنت أتحدث عن رحلتى مع بعض الزملاء والأصدقاء ، وأعربت لهم عن رغبتى فى وضع كتاب عن « العم سام » وبلاده الواسعة الأرجاء ، المترامية الأطراف . فاقترح على أحدهم أن يكون عنوان الكتاب « مصرى فى أمريكا » ، ورأى آخر أن يكون العنوان « مشاهدات فى العالم الجديد » وآخر ثالث أن يكون العنوان « جبايرة الصناعة » ، وتساءل رابع : ولم لا يكون العنوان « أعجبنى ولم يعجبنى فى أمريكا » .

وطال الحديث والنقاش ، وكنت أقل المجتمعين تحمساً للعنوان . وبعد أن قضيت فى أمريكا الأسبوعين الأولين تذكرت ذلك الحوار فابتسمت ، ووددت لو أن أولئك الزملاء والأصدقاء كانوا معى ليدركوا أن مقترحاتهم كانت سابقة لأوانها ، وأن الحديث عن الولايات المتحدة يختلف كل الاختلاف عن الحديث عن إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا مثلاً ، فأمرىكا قارة طويلة عريضة شاسعة ، أما فرنسا أو إيطاليا أو إنجلترا فلا تعدو أن تكون جزءاً من قارة ، وليروا معى أن من المبالغة والإسراف أن

يزعم كاتب أن في وسعه أن يضع كتاباً جامعاً مانعاً — كما يقول المناطقة — عن قارة لا يقضى فيها إلا شهرين أو ثلاثة أشهر ، وليوقنوا أن الكتابة عن أمريكا تحتاج إلى مجلد ضخيم لا يمكن وضعه إلا بعد زيارة تدوم بضعة أعوام على أقل تقدير .

الواقع أنني لم أشاهد إلا مجموعة من الصور والألوان ، ولم تلتقط نفسى إلا طائفة من الانطباعات ، مع أنني كنت أستخدم الطائرات في تنقلاتي حتى يتسنى لى أن أزور أكبر عدد من المدن والأقاليم والولايات ، ومع أنني كنت دائم الاختلاط بالناس ، مدفوعاً إلى ذلك بحاستي الصحفية ، كثير التردد على المعالم التاريخية والمرافق العامة ، والمعاهد العلمية ومعاهد الأبحاث والمصانع ، في كل مكان وابتغيت الفرصة لزيارته . وكلما طالت رحلتي إزدادت تواضعاً وشكاً في قدرتي على وضع كتاب بمعنى الكلمة ، لا عن أمريكا بل عن نيويورك أو شيكاغو أو دالاس أو نيواورلينز ، إلا إذا قضيتُ في تلك البلاد أعواماً طويلاً ، أنفقتها في المدرس والبحث والتقصي ، والتجول المستمر في الولايات الثماني والأربعين ، وفي مدن كنيويورك وشيكاغو وديترويت ولوس إنجلس . . . نيويورك بسكانها الذين يربون على ثمانية ملايين ، وأحيائها المتباعدة المتعددة الألوان ، ومسارحها وملاهيها وأنديةها التي تعد بالمئات ، وشيكاغو بأسواقها الدولية ومراكزها الصناعية الضخمة وحركتها التجارية المذهلة ، وديترويت



تمثال الحرية

المركز الرئيسى لصناعة السيارات ، ولوس انجليس التى تضم ، فيما تضم ، هوليوود عاصمة السينما التى تقطع فيها شارعاً رئيسياً لا يقل طوله عن ثمانين كيلومتراً .

هى صور سريعة بل خاطفة ، حاولت جاهداً أن ألتقطها فى دقة وعناية ما وجدت إلى الدقة والعناية سبيلاً .

وهى ألوان ارتسمت فى مخيلتى ، أعكسها فى هذا الكتاب دون أن أزعم أننى أسوق إلى القارئ الأصل بكل دقائقه وأضوائه وإشعاعاته . وهى تيارات اجتماعية وسياسية لم أدّخر وسعاً فى سبيل الإفضاء إليها لمعرفة حقيقتها .

هذه الصور والألوان والانطباقات هى جوهر هذا الكتاب ، وهى متداخلة متشابكة إلى حد أستطيع معه أن أزعم أن ثمة وحدة تشملها . لعلك ترى معى ، بعد أن تفرغ من القراءة ، أن هذا العالم الجديد يحيرك بضخامته ، وتعدد جوانبه ، وتباين صوره وألوانه ، وتلاطم أمواجه الاجتماعية ، وكثرة عناصره ، وتشعب مسالكه ، حتى ليخيل إليك ، لو كنت زائراً عابراً ، أنك فى « بيت جمعا » .

خَوَاطِرُ مَنْ وَاشْتَنَطْنَ

مکتبہ اسلامیہ

۱۰

۱۱

واشنطن كعبةُ الديمقراطية ما فى ذلك شك ، وهى عاصمة الولايات المتحدة التى تتزعم ، بمواردها الضخمة وقوتها الصناعية الجبارة ، « العالم الديمقراطي الحر » .

ولكن مما يدعو إلى العجب حقاً أن سكان كعبة الديمقراطية ليس لهم حق الانتخاب . وهم محرومون من هذا الحق لأن العاصمة يجب أن تظل متخذة موقف الحياد من الأحزاب السياسية .

وإذا كانت واشنطن مركزاً للعالم الغربى ، فهى ليست مركزاً للولايات المتحدة عند كثير من الأمريكين .

وقد قيل لى إنه كان ثمة تفكير فى نقل مقر الحكومة إلى عاصمة أخرى .

إن واشنطن تحكم أضخم حضارة صناعية عرفها العالم حتى يومنا هذا ، ولكنك لا تجد فيها إلا بضع مداخن متباعدة .

وهى تمثل بلاد ناطحات السحاب ، ولكنك لا تجد فيها عمارات وأبنية تكاد تلمس السحاب كتلك التى تراها فى نيويورك أو شيكاغو مثلاً .

وجو هذه العاصمة الجبارة التى يمتد نفوذها إلى سائر أنحاء العالم

شديد التقلب ، فحرها في الصيف قائل خانق لاشتداد الرطوبة ، وبردها في الشتاء قارس يرغمك على أن تقبع في عقر دارك من جراء كثافة البرد والجليد .

وإذا كانت واشنطن مدينة بيضاء لأن فيها البيت الأبيض ، ولأن معظم أبنيتها تكاد تكون بيضاء ، فإن سكانها مزيج من البيض والسود ، ونسبة الزنوج فيها تزيد على ثلاثين في المائة .

وواشنطن عاصمة بطيئة النبض ، إذا صح لنا أن نستعمل هذا التعبير . فليست فيها بورصة ، وهي خلو من الضواحي الصناعية ، وليس فيها « حي لاتيني » كباريس أو نيويورك أو حتى شيكاغو — وعدد مسارحها بعد على أصابع اليد الواحدة .

وحين يصل عقرب الساعة إلى السادسة مساء تصاب هذه العاصمة بضرب من الشلل السياسي والإداري . وفي حوالى الساعة التاسعة مساء توشك الشوارع الرئيسية أن تخلو من المارة .

وفي واشنطن عشر نساء لكل ثمانية رجال . وطبيعى ، والحالة هذه ، أن يكون تنافس النساء على الرجال شديداً ، لأن رغبة الأنسات ، وبينهن عوانس كثيرات ، في الزواج ملحة . ولكن الجرائم الغرامية ضئيلة جداً . أما عمر هذه العاصمة التي تتحكم في مصير العالم ، وتستطيع أن تزيل كل أثر للحياة من على وجه الأرض إذا هي قررت استخدام ما لديها

من قنابل ذرية وهيدروجينية ، فلا يزيد على ١٦٣ سنة ، فقد وضع الجنرال « جورج واشنطن » الحجر الأساسى لأول أبنيتها فى الخامس عشر من أبريل عام ١٧٩١ .

ولقد أفدت من زيارتى لواشنطن والاتصال بالأصدقاء من رجال سفارتنا فيها فائدة كبيرة ، إذ اتضح لى أهمية الاتصالات الشخصية ، وأيقنت أنها تحدث فى الدوائر الأمريكية تأثيراً ينبغى لنا بل يتعين علينا ، أن نكون حريصين أشد الحرص على دوامه واستمراره .

هل تستطيع أن تصدق مثلاً أن فى وسع المكتب الصحفى بسفارتنا هناك أن ينبرى وحده للوقوف فى وجه الدعاية الصهيونية الواسعة فى الولايات المتحدة دون أن ينفق ملايين الدولارات التى يرصدها الصهيونيون فى سبيل الدعاية لإسرائيل ؟

الجواب الوجيز على هذا السؤال أن خمس صحف فى واشنطن ونيويورك هى « واشنطن بوست » و « إيفنج ستار » و « هيرالد تريبون » و « نيويورك تيمس » و « كريستيان ساينس مونيتور » نشرت فى أربعة أيام نحو عشرين عموداً عن مصر ، مع أن الصحف الأمريكية كانت إذ ذاك - يناير عام ١٩٥٤ - معنية أشد العناية بنشر مقالات وأنباء وتحريات عن سياسة الرئيس ايزنهاور لمناسبة بدء دورة الكونجرس الجديدة ، وعن الصراع الشديد بين الحزبين الجمهورى والديمقراطى ، وما إليهما من

الموضوعات التي يهتم بها القارئ الأمريكي أكثر من اهتمامه بأنباء سائر بلاد العالم بمراحل .

وفي الأيام الأربعة نفسها نشرت الصحف الأمريكية زهاء خمسة أعمدة فقط عن مسائل تتصل بإسرائيل .

وواضح كل الوضوح أن هذا الكسب المتزايد الذي تظفر به مصر في الميدان الصحفي الأمريكي مرده إلى الاتصالات الشخصية التي يقوم بها ممثلونا الدبلوماسيون في تلك البلاد ، وما يبذلونه من جهد طيب مشمر أحب أن أسجله لهم في هذا الفصل .

كذلك يطيب لي أن أسجل نشاط الطلبة المصريين في سائر أنحاء الولايات المتحدة ، فهم يؤدون واجبهم نحو أمتهم على أتم وجه مستطاع بما يلقونه من محاضرات يستقون موضوعاتها من النشرات الدورية المنتظمة الدقيقة التي يوزعها عليهم المكتب الصحفي ، وبما يذيعونه من تصريحات تلقى كثيراً من الضوء على المسائل المصرية التي يريد الأمريكيون الوقوف عليها .

وبهذه المناسبة أذكر أن من يعتقد أن وزارة الخارجية الأمريكية هي كل شيء في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، يكون مخطئاً . فالكونجرس واقف للحكومة بالمرصاد ، يحاسبها على كل كبيرة

وصغيرة ، ويدخل على برامجها التعديلات التي يراها متفقة مع مصالح البلاد ، ويلغى منها ما يرى أن تلك المصالح تقتضى إلغائه .

ومعنى هذا أنه ينبغي لنا ألا نقصّر نشاطنا الدبلوماسى فى واشنطن على الاتصال بكبار رجال وزارة الخارجية الأمريكية ، بل يجب أن يكون لنا هناك من الرجال الأكفاء الذين يجيدون فن الاتصال الشخصى عدد يكفى لإحداث تيارات سياسية واقتصادية لصالح مصر فى أروقة الكونجرس .

لا شك أن رجال سفارتنا هناك يبذلون قصارى جهدهم للاضطلاع بالمهام الدقيقة الموكولة إليهم ، ولا شك أن جهودهم بدأت تثمر على نحو يبشر بخير عظيم .

ولكن ماذا تستطيع أن تفعل جماعة من الأكفاء تضم من الأفراد عدداً أقل من الحد الأدنى المطلوب ؟

إن للدعاية والاتصالات الشخصية فعل السحر فى الولايات المتحدة . فلنخض غمار هذا الميدان على النحو الذى يكفل لنا النجاح فيه ، وبالكيفية التى تتفق مع العقلية الأمريكية .

لهذا كله اقترحت فى مقال كتبتة فى يناير من العام الماضى على السيد الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى أن يضاعف اهتمامه بتعزيز مكتبنا فى واشنطن ، ومكتبنا فى الأمم المتحدة ، وأن ينشئ مكتباً صحفياً كبيراً فى نيويورك ، ذلك أن لنا فى تلك البلاد أصدقاء كثيرين من الأمريكيين

الذين لا يترددون في الدفاع عن مصالحنا دفاعاً قوياً فعالاً مفيداً كلما
زودناهم بالبيانات والمعلومات التي يحتاجون إليها .

كذلك اقترحتُ على السيد وزير الإرشاد أن يفكر في أمر آخر أعتقد
أن له أهميته وهو اختيار بعض كبار الأمريكيين من أصدقاء مصر وتعيينهم
قناصل فخريين لمصر في بعض المدن الأمريكية الكبرى . وأعتقد اعتقاداً
جازماً أن تنفيذ هذه الفكرة سيؤدي حتماً إلى نتائج طيبة ، ويعاون مكاتبنا
الصحفية في تلك البلاد معاونة مثمرة ما في ذلك ريب .

المجال إذن واسع فسيح للاتصالات الشخصية ، والنشاط الصحفي ،
والدعاية المثمرة لبلادنا ، فعلينا أن نغتنم الفرصة وهي الآن مواتية .

بَيْتُ جُحَا

فى الفصل السابق تحدثت عن واشنطن مقر الحكومة الفيدرالية للولايات المتحدة الأمريكية . ولكن صورة هذه العاصمة التى غدت منذ الحرب العالمية الأخيرة محط أنظار ساسة العالم والمركز الذى توجه منه السياسات الدولية ، لا يمكن أن تكتمل إلا إذا حدثتلك عن دار فريدة فى هندسة بنائها ، فريدة فيما يجرى داخلها من نشاط متعدد النواحي ، فريدة فيما تشتمل عليه من أقسام متباينة يعمل فيها أناس تختلف مهنتهم وحرفهم اختلافاً كبيراً . . تلك هى دار « البنتاجون » مقر وزارة الدفاع الأمريكية .

ويحضرنى ، وأنا أكتب عن مبنى البنتاجون ، ما درسته فى طفولتى عن ذلك القصر الذى بناه فرعون مصر « أَمْنَمَحَعْت » الثالث فى مقر ملكه بإقليم الفيوم ، وكتب عنه المؤرخ الاغريقى القديم «فلوتارخوس» يقول إنه كان يتألف من ثلاثة آلاف غرفة نصفها تحت الأرض والنصف الآخر فوقها . . ذلك القصر الذى جاء وصفه فيما كتب المؤرخ وقد أطلق عليه الإسم الذى صار يُعرف به فى كتب التاريخ القديم ، هو قصر « لا بيرنت » . وقيل إن الإسم مأخوذ عن كلمتين بلغة القدماء المصريين هما « لا بير أهونت » .

بيد أن الاسم الذى أطلقه عليه « فلوتارخوس » وهو « لابيرنت » أصبح اسماً لكل مكان لا يعرف الإنسان متى دخله ولا يعرف كيف يخرج منه .
 حضرني ما قرأته وأنا طالب صغير عن ذلك القصر القديم الذى لاتزال بعضُ أطلاله قائمة أو مدفونة تحت الأرض بالقرب من بلدة اللاهون بالفيوم ، عندما دخلت مبنى « البنتاجون » الذى لا أحسب أن له نظيراً فى العالم .

وقد روى لى مرافقى الأمريكى حين بدت على أمارات العجب والدهشة مايتناقله الناس فى واشنطن من قصص ونوادير مضحكة عما حدث لبعض الأبرياء ممن ساقهم سوء الحظ إلى زيارة « البنتاجون » أو اضطروا إلى ذلك لإنجاز أعمالهم .

ولعل أطرف ما سمعته فى هذا الشأن قصة تروى على سبيل الفكاهة وإن لم يكن وقوعها من رابع المستحيالات .

روى لى مُحَدَّثى أن سيدة اضطرتها ظروف خاصة إلى دخول مبنى « البنتاجون » ، ولكنها ضلت الطريق . وقبل وصولها إلى المكتب الذى كانت تقصده سقطت منهارة على الأرض ، فتجمع الناس حولها ليعرفوا ماذا أصابها . ولما اتضح لهم أنها تعاني آلام المخاض انطلق أحد الموجودين مهزولاً وعاد بعد لحظات ومعه ضابط طبيب أدى واجبه الإنسانى على أتم وجه مستطاع ، إذ لم تمض لحظات حتى كانت السيدة راقدة فى فراش

مريح وحولها الممرضات والضابط الطبيب وقد تزودوا بكل ما يلزم لإجراء عمليات الولادة ، السير منها والعسير .

وبعد أن وضعت السيدة وليدها سألها من كانوا حولها عن سبب مجيئها إلى « البنتاجون » وهى فى آخر أيام الحمل . فكان ردها الذى أدهش الجميع هو أنها حين دخلت « البنتاجون » لم تكن فى آخر أيام الحمل !

لا شك أن المقصود بما تنطوى عليه هذه القصة من خيال ومبالغة هو تأكيد ما يلقاه زائر « البنتاجون » من مشقة وإعنات إذا لم يستعن بالدليل الذى طبعته وزارة الدفاع الأمريكية ليسترشد به زوار المبنى ومن يريدون الاتصال بإدارات الوزارة ومكاتبها .

حقيقة إن من يدخل مبنى « البنتاجون » يلقى نفسه فى ذلك التيه الذى يعرف فى اللغات الأوروبية باسم « لايرنت » ويعرف عندنا باسم « بيت جحا » .

زرت « البنتاجون » بعد أن سمعت الشئ الكثير عن ضخامته . والواقع أن كل ما يعرفه الناس عن هذا المبنى هو أنه ضخم ، ولكن من المتعذر على المرء أن يتصور مبلغ ضخامته . ويمكن تقريب الصورة إلى ذهن القارئ ببعض البيانات المدعمة بالأرقام عن هذا المبنى الذى يضم بين جدرانه من الموظفين والعمال والمكاتب أكثر مما يضم أى مبنى حكومى آخر فى الولايات المتحدة .

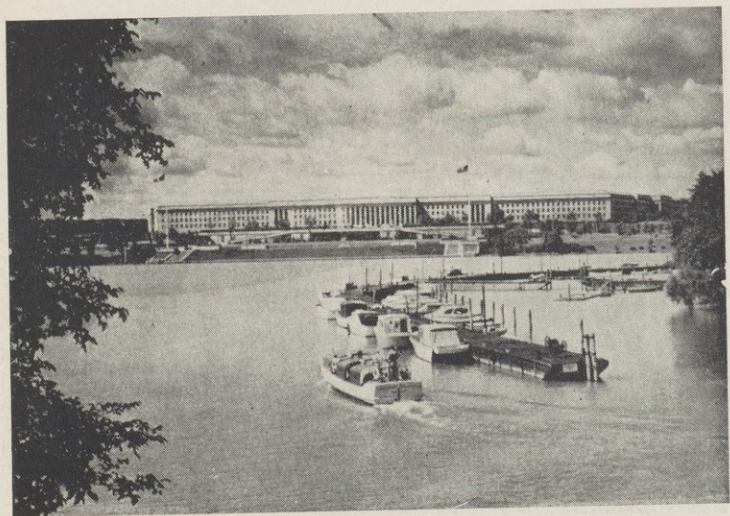
يقوم المبنى على قطعة أرض مساحتها ٣٤ فداناً ، أى ما يعادل ثلاثة أضعاف المساحة التى يشغلها مبنى « امباير ستيت » فى نيويورك المؤلف من مائة طابق وطابقين ، أو ما يقرب من ثلاثة أمثال المساحة التى يشغلها هرم الجيزة الأكبر .

والرقم (٥) شأن كبير فى هذا المبنى وهندسته ، فهو يتألف من خمسة « بلوكات » الواحد منها داخل الآخر فيما يشبه الحلقات ، ولكن فى غير استدارة ، إذ أن كلا منها عبارة عن شكل خماسى منتظم ، ولهذا سمى « البنتاجون » أى ذو الأركان الخمسة . ولعل اختيار هذا الاسم هو الذى جعل الرقم (٥) أو مضاعفاته نصب أعين المهندسين المعماريين الذين وضعوا التصميم .

ويتألف المبنى من خمسة طوابق فوق طابق نصفى (ميزانين) يعلو الطابق الأرضى و « البدروم » وقد روعى عند وضع التصميم ألا يكون فى ارتفاع المبنى خطر على الطائرات التى تهبط فى مطار واشنطن القريب ، أو تنطلق منه . وثمة عشرة ممرات تصل بين الحلقات الخمس . وهذه الممرات أشبه « ببرائق » العجلة الممتدة إلى الإطار الخارجى . ومنها خمسة تتجه من المحور إلى زوايا « البلوك » الخارجى الخمس . أما الممرات الخمسة الأخرى فتصل إلى منتصف الأضلاع الخمسة مارة بمنتصف الأضلاع الخمسة لكل من البلوكات الأربعة الأخرى .



« البتاجون » . . . بيت جحا ! ؟



صورة أخرى لبيت جحا ! .

ومن عجب أن هذا المبنى خُلِّقَ من المصاعد الكهربائية التي استغنى عنها بالسلام الكهربائية . وثمة بيانات تهم المشتغلين بفن المعمار نسوقها فيما يلي :

إن هيكل المبنى من الخرسانة المسلحة المقاومة بقضبان من الفولاذ ، والإطار الخارجى تملؤه جدران صُبَّتْ من الخرسانة المسلحة ، كل جدار منها قطعة واحدة . ويطن هذه الجدران جدران أخرى من الحجر الجيرى . وعدد الأعمدة التي أقيمت من الخرسانة المسلحة كدعامات للمبنى ٤١٤٩٢ عموداً استخدم في صنعها نحو ٤٢٥ ألف قدم مكعبة من الخرسانة . وجيء بالزلط والرمل اللازم لصنع الخرسانة من قاع نهر « بوتوماك » الذى يجرى قريباً من المبنى ويفصله عن مدينة واشنطن . وأدى استخراج المواد اللازمة لإعداد الطرق والميدان الفسيح المعد لوقوف السيارات إلى وجود منخفض من الأرض صار فيما بعد تلك البحيرة الصناعية الواقعة تجاه المبنى . وتقدر كمية الأتربة التي أُخذت من مكان البحيرة بأكثر من خمسة ملايين وخمسمائة ألف ياردة مكعبة .

وتمَّ إنشاء المبنى في منتصف شهر يناير من عام ١٩٤٣ بعد أن استغرق بناؤه ستة عشر شهراً . وبلغ عدد العمال الذين استُخدموا في البناء ، خلال إحدى الفترات ، ثلاثة عشر ألف عامل كانوا يعملون بالتناوب طيلة ساعات النهار والليل الأربع والعشرين .

وبلغت نفقاتُ الإنشاء خمسة وثلاثين مليوناً من الدولارات مما أثار احتجاج بعض أعضاء الكونجرس ، وذهب بعض كبار الاقتصاديين إلى أن هذا يعد تبذيراً لا مبرر له على الإطلاق .

وطول الممرات في « البنتاجون » نحو ٢٨ كيلو متراً ، أى ما يعادل المسافة بين أهرام الجيزة ومصر الجديدة . ولكن بفضل التصميم الهندسى الفذ لا تزيد المسافة بين أية غرفتين في المبنى على خمسمائة وخمسين متراً . يقطعها الزائر في ست دقائق تقريباً . أما محيط المبنى فيبلغ حوالى الميل .

إن الموظفين الجدد والزوار يجدون أنفسهم في حيص بيص متى دخلوا المبنى للمرة الأولى ، فيتولاهم الارتباك وتستبد الحيرة بهم . ومن ثم عمدت إدارة المبنى إلى وضع نظام منطقي لترقيم المكاتب بغية التخفيف من المشاق التى يلقاها الجمهور فى تحديد مواقع الإدارات المختلفة . فإذا كان رقم الغرفة مثلاً ٤ هـ ٩٣٥ فمعنى ذلك أن على الزائر أن يصعد إلى الطابق الرابع من البلوك هـ الخارجى ويتجه إلى الممر رقم ٩ حيث يجد الغرفة رقم ٩٣٥ . ولعل مشكلة الاتصال التليفونى كانت أعقد مشكلة صادفت المشرفين على إنشاء « البنتاجون » ، فإن جسامه هذا المبنى تتضح جلياً إذا عرفنا أن عدد الخطوط التليفونية فيه تبلغ ٣٩ ألف خط أى ما يزيد على عدد الخطوط التليفونية فى جميع مدن الجمهورية المصرية باستثناء القاهرة . ويقدر طول

الأسلاك التليفونية التي استخدمت في مد تلك الخطوط بما يزيد على مائة وخمسين ألف ميل ، أى ستة أضعاف محيط الكرة الأرضية وثلاثة أمثال المسافة بين الأرض والقمر !

ويضم هذه الخطوط « سويتش » فرعى خاص بوزارة الدفاع يعد الأكبر من نوعه في العالم . ويمكن أن يتم الاتصال المباشر بين أى خطين من خطوط ذلك « السويتش » . ويقدر عدد المكالمات التي تتلقاها هذه الخطوط في أيام العمل العادية بنحو ٢٥٠ ألف مكالمة .

ومبنى « البنتاجون » مدينة كاملة تكفى نفسها بنفسها ، فهي لا تعتمد على مدينة واشنطن في شىء سوى إمدادها بالتيار الكهربائى . ففي الطابق الأرضى وفى البدروم يجد الموظفون والعمال ، ويربو عددهم على ثلاثين ألفاً ، كل ما يلزمهم من مأكـل ومشرب وملبس وخدمات عامة من شتى الأنواع .

فقطاع « البنتاجون » وباراته ومقاهيه (الكافيتيريا) الستة عشر التي يعمل فيها سبعمائة شخص تقدم ١٢ ألف وجبة يومياً ، وتلبى ٢٨ ألف طلب من المشروبات الكحولية وتقدم ٣٠ ألف قـدح من القهوة ، إلى جانب ١٠,٠٠٠ « شوب » من اللبن وأكثر من ٤٠٠٠ زجاجة من المياه الغازية .

وفى رواق كبير داخل المبنى طوله ٢١٠ أمتار تقريباً وعرضه ٤٠ متراً

تجد حياً من أحياء الأعمال يفوق ما تجده في مدينة أمريكية متوسطة ،
فن متجر أشبه بالتاجر الكبرى التي تجدها في شارع ٢٣ يوليه بالقاهرة
بل ما يفوقها ، إلى محل للمجوهرات ، ونخبز فيه كل أنواع الخبز والفطائر
والحلوى ، إلى محل لبيع الزهور ونخبز للأدوية . وهنا مكتبة وهناك كشك
لبيع الصحف . وهذا حانوت حلاق وذاك مكتب للبريد وآخر للتلفراف .

وفي « البنتاجون » ، عدا كل ذلك ، فرع لأحد المصارف الكبرى
ومكتب للضرائب يؤدي فيه الممولون من موظفي وزارة الدفاع وعملها ما عليهم
من ضرائب متنوعة . وثمة مستشفى عسكري يعمل فيه عشرون طبيباً ،
ومستوصف للمدنيين ومركز للإسعاف .

وهناك ٢١ سلماً تؤدي من ذلك الرواق الفسيح إلى محطة السيارات
والأمنيوس وسيارات التاكسي ، تنتهي عندها ثلاثة طرق منها طريقان
لسيارات الأمنيوس التي تنقل ٢٥ ألف راكب في الساعة الواحدة . ويمكن
شحن ٢٨ من سيارات الأمنيوس هذه في وقت واحد .

وهناك حلبتان فسيحتان مُعدتان لوقوف السيارات الخاصة إحداهما
إلى الشمال من المبنى والثانية إلى الجنوب . وتبلغ مساحتهما زهاء خمسين
فداناً وهما تتسعان لما يقرب من ٨٣٠٠ سيارة .

أمّا شبكة الطرق المؤدية إلى « البنتاجون » فأعترف بعجزى عن وصفها ،
فهى تُحير كل غريب يحاول الوصول إلى المبنى في سيارته الخاصة ، إذ

لا يستطيع مهما أُوتى من الفطنة والذكاء أن يفهم شيئاً من هذه الدوائر المتداخلة وغير المتداخلة ، والمنحنيات الصاعدة والهابطة التي وضع تصميمها الخبراء من مهندسى الطرق لتنظيم مرور آلاف السيارات الخاصة وسيارات الأمتوبيوس وغيرها من أنواع المركبات المتجهة إلى المبنى .

أمّا النظام المتبع داخل « البنتاجون » فيعد من أغرب الأنظمة المعروفة في العالم ، وهو نظام يكفل بقاء درجتى الحرارة والرطوبة عند رقم لا تتجاوزانه في كل من فصلى الشتاء والصيف ، فدرجة الحرارة في الشتاء ٧٥ فهرنهايت وفي الصيف ٧٨ فهرنهايت (٢٤ و ٥ و ٢٤ مئوية تقريباً) . أما درجة الرطوبة فهي ٣٠ في المائة شتاء و ٥٠ في المائة صيفاً .

وهذا كله يضاعف القدرة على الإنتاج بطبيعة الحال . ومن شأنه في الوقت نفسه أن يحفظ الوثائق من التلف . ففي مثل درجات الحرارة والرطوبة هذه لا يمكن أن تعيش الحشرة المعروفة باسم « السمكة الفضية » وهى نوع من « العتة » التي تصيب الأوراق بتلف كبير ، في حين يساعد الجو الرطب الذى يسود وادى نهر بوتوماك المنخفض على انتشار هذه الحشرة وأمثالها .

والعجيب في نظام تكييف الهواء الذى ابتدعه الفنيون لاستخدامه في « البنتاجون » أنه عندما تتسلط أشعة الشمس على أحد جوانب المبنى في الصباح وعلى الجانب المقابل له بعد الظهر ، خلال الصيف ، تعمل العيون

الاليكترونية المثبتة فى سقف المبنى بطريقة آلية فتعطى إشارة بزيادة التبريد على كل من هذين الجانبين فى الوقت المناسب. وإذا تلبدت السماء بالغيوم عملت الأجهزة الخاصة عملها فتفتح صمامات خاصة أو تقفلها دون أن تمتد إليها يد الإنسان !

أورُبَا الصّغِيرَة



جامعة كولومبيا في نيويورك . . من الجو



عامل يثبت جهازاً لإرسال صور التلفزيون على قمة مبنى « امباير ستيت » . .
أعلى مبنى في العالم . . ارتفاعه ١٢٥٠ قدماً ! .

فكرت طويلا قبل الشروع فى كتابة هذا الفصل . فكرت فيما يمكن أن أكتبه عن نيويورك ، مدينة ناطحات السحاب ، مع أنى لم أقض فيها إلا زهاء ثلاثة أسابيع ، ومن ثم لم يتسنّ لى أن أزور إلا معاملها الرئيسية .

وفكرت فى مئات الأمور والأشياء التى لفتت نظرى ، واسترعت انتباهى ، وأثارت اهتمامى ، وفكرت فيما أستطيع أن أتحدث عنه حديثاً الملمّ بالموضوع إلى أقصى حد مستطاع .

فكرت فى هذا كله فاستبدت بى الحيرة . إن نيويورك مدينة محيرة فى تشعبها وعلوها . إنها عدة مدن فى مدينة ، وعدة أقطار فى قطر . والمدن التى تتألف منها هى « منهاتن » و « بروكلين » و « كوينز » و « برونكس » و « رتشموند » . ولكل منها مظهرها ، ولهجاتها ، وروحها القومية ، وأدبها الشعبى .

إنها مدينة أوربية ما فى ذلك شك ، ولكنها ليست ملكاً لأى بلد أوربى . فهى تمثّل أصدق تمثيل عدة أقطار أوربية نخص بالذكر منها إيطاليا وبولندا وبوهيميا والمانيا وهولندا ، كما تمثل أرمينيا والصين وبلاداً أخرى فى القارة الآسيوية . وسكانها يمثلون ٥١ جنسية . وتصدر فيها صحف باللغات

الألمانية والأسبانية والإيطالية واللواتية والمجرية والروسية والدانمركية واليونانية ،
وأهم الصحف العربية التي تصدر فيها هي الهدى لصاحبها مارى مكرزل ،
و « السمير » لصاحبها الشاعر الكبير إيليا أبو ماضي . وخلق بالذكر
أن مؤسس صحيفة « الهدى » كان أول من أدخل الحروف العربية على آلات
الليوتيب . وأعتقد أن ثمة صحفاً أخرى تصدر في نيويورك بلغات أجنبية
لا أعرف عنها شيئاً .

وإليك بعض الأرقام التي استطعت الوقوف عليها : إن سكان هذه
المدينة يستهلكون في اليوم الواحد ما يزيد على ١٥,٦٣٨,٨٥٥ كيلو جراما
من المواد الغذائية ، و ٨٨,٩٠٥ أطنان من الفحم و ١٥,١٢٠,٠٠٠ لتر من
المازوت الذى يُستخدَم في توليد الغاز والكهرباء والبخار . وفيها أكثر من
٤٣٠٠٠ مصعد كهربائى ، أى نحو ٢٠ فى المائة من مجموع المصاعد
الكهربائية فى الولايات المتحدة . وإذا صفت هذه المصاعد الواحد تلو
الآخر لبلغ طولها ٢٥٦٠ كيلومترا ، ولا يقل مجموع الكيلو مترات التي
تقطعها يوميا ، صعوداً وهبوطاً ، عن ٢٠٠,٠٠٠ ، أى نصف المسافة
بين الأرض والقمر . ويستهلك النيويوركيون فى اليوم الواحد نحو
٤,٤٣٦,٠٠٠,٠٠٠ لتر من الماء .

ونيو يورك هي المركز الفنى والمسرحى والأدبى للولايات المتحدة . وهي

كذلك مركز الأزياء والصحافة والراديو والتلفزيون . ففيها تسمع أحدث الألحان الموسيقية ، وتغذى عقلك وقلبك بمشاهدة المسرحيات الممتعة ، وتقضى ساعتين في « راديو سيتي » يبهرك خلالها رقص تشترك فيه مائة وعشرون من الراقصات « الذريات » أو « الصاروخيات » ، وتشنف أذنك جوقة موسيقية قوامها نحو مائة من أمهر العازفين ، وتشاهد ، فوق ذلك ، فيلماً سينمائياً رائعاً .

أما أناقة النيويوركيات فحدث عنها ولا حرج . إنهن يذكركن بالباريسيات في رشاقتهن وفنتهن ، وباللندنيات في بساطتهن الساحرة . إن مساحة نيويورك الآن ٩٤٥ كيلو متراً مربعاً . وطول شوارعها نحو تسعة آلاف كيلو متر . وكان تعداد سكانها في عام ١٩٥٠ ما يقرب من ثمانية ملايين نسمة .

ونيويورك هي « منهاتن » أولاً وقبل كل شيء . وطول هذا الحى عشرون كيلو متراً وعرضه أربعة كيلو مترات . ومع ذلك يقيم فيه قرابة مليوني نسمة ، وفيه عشرون جسراً ، وألف ملهى .

وكل الأسماء التي تتعنى نيويورك تجدها في « منهاتن » ، وول ستريت (حى المال والأعمال) وبردواى ، وميدان التيمس ، والشارع الخامس ، والحديقة المركزية (سنترال بارك) ، وهارلم ، وفندق والدورف استوريا ، ومجمع روكفلر ، وعمارة امباير ستيت التي يبلغ ارتفاعها ١٢٥٠ قدماً ، وتمثال الحرية . . .

ولأُحدّثك أولاً عن « وول ستريت » ، أى شارع الحائط . لقد أطلق عليه هذا الاسم لأن «بيتر ستيفنسنت» ، وكان مديراً عاماً لنيو أمستردام (اسم نيويورك الأصلي) بنى حائطاً فى المكان نفسه كجزء من المراكز الدفاعية لمقاومة القوات الإنجليزية التى احتلت المدينة فى الثامن من سبتمبر عام ١٦٦٤ وأطلقت عليها اسم « نيويورك » تكريماً لدوق يورك شقيق ملك إنجلترا تشارلس الثانى .

و « وول ستريت » هو العمود الفقرى ، أو المركز العصبى ، للنظام الرأسمالى الأمريكى . ففيه تجد المصارف الكبرى ، وبورصة نيويورك . وتعقد فيه يومياً صفقات تقدر بعشرات الملايين من الدولارات .
نتنقل الآن إلى « برودواى » أى الشارع الواسع . إنه يستمد شهرته العالمية من مسارحه وملاهيه ومطاعمه ودوره السينمائية وكثرة ما فيه من أضواء تخطف الأبصار .

فى ملاهى هذا الشارع تسمع أبداع الألحان الزنجية الراقصة يعزفها لك موسيقيون عالميون أمثال « ديوك ولنجتون » و « كاونت بيسى » ، وأروع الأنغام الأرجنتينية والمكسيكية والبرازيلية ، وأحلى الألحان الأوربية .
وفى مسارح هذا الشارع تنفق ساعات ممتعة فى مشاهدة اللون التمثيلى الذى تؤثره . . الدراما العنيفة ، أو المأساة المبكية المضحكة ، أو التمثيلية الهزلية التى تذكرك بموليير ونجيب الريحاني ، أو الاستعراض الموسيقى الحلاب .

وفي مطاعمه الأنيقة التي تعد بالعشرات تأكل ما لذ وطاب من ألوان الطعام الأمريكي في جو أمريكي ، والطعام الأوربي في جو فرنسي أو إيطالي ، والطعام الشرقى في جو فوار بسحر الشرق .

وهذا الشارع الواسع لا يخلو من الشحاذين ، ولكنهم شحاذون من نوع خاص . . . فهذا شاعر أخنى عليه الدهر يمد إليك يده بديوان فيه كل ما فاضت به عبقريته الشاعرية ، وذاك موسيقى سيء الحظ يسمعك لحناً حلواً على الكمان أو الأكورديون أو القيثارة . إن شحاذى هذا الشارع يكسبون قوتهم بعرق الجبين وبالفن .

و « هارلم » ، حتى الزوج ، يبدأ حيث ينتهى الشارع الخامس ، شارع أصحاب الملايين . ويقيم في « هارلم » ، طبقاً لآخر إحصاء ، نحو ٣٥٠ ألف شخص . وهم خليط من الزوج والمولود والأسبان والإيطاليين والبرتوريكيين (نسبة إلى بورتوريكو) والمارتينيكيين والهايتيين (نسبة إلى المارتينيك وهايتى) .

وقد قيل لى إن قليلين جداً من البيض يتزوجون زنجيات ، فى حين أن كثيرين من الزوج يقترنون بفتيات من البيض ، وهؤلاء يقمن مع أزواجهن فى « هارلم » .

وأهم صحف هذا الحى « أمستردام نيوز » ويربو توزيعها اليومى على نصف مليون نسخة .

وتتألم نيويورك لماسى العالم القديم على نحو واضح ملموس . فالنيويوركيون
 الإيرلنديون ظلوا عدة أعوام يجمعون التبرعات لتمكين بلادهم الأصلية من
 الاستقلال . والنيويوركيون الايطاليون يبذلون قصارى جهدهم في سبيل مناهضة
 الشيوعية في إيطاليا . وكانت ألمانيا النيو يوركية ، أو إن شئت فقل نيويورك
 الألمانية ، تبدى إعجابها بهتلر ، وتشيد بالحركة النازية في جرأة وشجاعة ،
 إبان الحرب العالمية الثانية .

وأعتقد أنني أكون بعيداً كل البعد عن المبالغة إن قلت إنك لا تستطيع
 أن تشعر بقوة نبض العالم الحديث إلا إذا زرت نيويورك . ففي كل خطوة
 تخطوها هناك تتجلى لك قوة الإنسان . وليس في هذه المدينة شئ لم تصنعه
 يد البشر . وحركة الصناعة هذه متصلة لا تتوقف أو تنقطع . وفي هذا
 تفسير للسرعة التي تتبدل بها معالم نيويورك وتتغير . والواقع أن ما من مدينة
 في العالم تفوق نيويورك في سرعة التغير .

يقول الكاتب الفرنسي الكبير « بول كلوديل » : « الكتابة عن أمريكا
 كتصوير الطفل بالفوتوغرافيا . لا تكاد تنتهى من التقاط الصورة حتى يتغير
 الطفل ، وتتغير أمريكا » . وهذا الكلام ينطبق على نيويورك بالذات ،
 ما في ذلك شك .

ولقد أشار الكاتب الإنجليزي الشهير « ه . ج . ويلز » إلى ناطحات
 السحاب في نيويورك فقال إنها تذكره على الدوام بالروح التجارية البحت

التي تنطوى عليها الحضارة الأمريكية .

والواقع أن الشرق أو الأوربي الذى يزور نيويورك يشعر لفوره بالحنين إلى عواصم عالمه القديم حيث ينعم بشيء لا يستهان به من الهدوء والدعة ، ذلك أن الحياة فى تلك المدينة الجبارة كالدوامه ، إنها فوارة بالأخذ والرد فى كل ساعة بل فى كل دقيقة ، فوارة بالحركة السريعة التى تجرفك أمامها فى عنف إذا استحال عليك الاندماج فيها ، أو تخلفك وراءها ذليلا ، مهيض الجناح ، لا تملك من أمرك شيئا ، ولا تعرف لنفسك مصيرا .

ولكن من المحقق أن هذا الزائر الشرقى أو الأوربى يخرج من الأيام أو الأسابيع أو الأشهر التى يقضيها فى هذه المدينة المنهكة المضنية ، إن صح لى أن أستخدم هذا التعبير ، بدرس فى فوائد النشاط لا يستطيع أن ينساه .

لقد أحببت باريس مدينة النور ، وأحببت لندن مدينة التقاليد ، وأحببت روما مدينة الفن ، ثم أحببت نيويورك ، لأن فيها من نور باريس ، وتقاليدها لندن ، وفن روما . . .

قالوا : باريس ترقص ، وروما تغنى ، ولندن تعمل . . . وفاتهم أن يقولوا إن نيويورك ترقص وتغنى وتعمل فى آن .



قصر الأمم المتحدة . . في الليل

مصنع السلام

حدثتك فى الفصل السابق عن نيويورك ، أوربا الصغيرة ، أو إن شئت فقل العالم مصغرا .

وفى هذا الفصل أحدثك عن جزء هام بل حيوى من هذه المدينة الجبارة التى أرهقت أعصابى قبل أن ترهق جيبى ، والتى أعترف بعجزى عن أن أعيش فيها أكثر من بضعة أشهر . ليس مردُّ هذا العجز إلى أننى تجاوزت السن التى أستطيع فيها أن أنأقلم ، وليس مرده إلى أن أعصابى مرهقة من جرّاء إخلاصى وولائى لصاحبة الجلالة الصحافة التى تستبد برعاياها وتقرض عليهم توضحيات منهكة ، فإننى ما زلت ، ولله الحمد ، قادراً على بذل مزيد من هذه التوضيحات . وإنما سبب عجزى أن جوَّ نيويورك مزاج من الانفعال السريع الذى تلمسه عند الفرنسيين والإيطاليين وسائر شعوب البحر الأبيض المتوسط ، والهدوء المطبوع على الصبر والأناة الذى تجده عند السكسونيين ، ومن المناورات الفوارة بالنشاط الجسم التى تقتضيها الصنفقات التجارية المذهلة والحملات الإعلانية التى تشعرك بأنك كالدمية تتقاذفها الأيدي ، ومن الأضواء الخاطفة المتعددة الألوان التى تحير بصرك فى كل مكان والضوضاء المزعجة التى تقض مضجعتك .

لقد شعرت في ذلك الخضم بأننى كالأسير أو السجين الذى يخيل إليه بادئ ذى بدء أن فى وسعه أن يألف حياة الأسر والسجن ، إذا اعتصم بالصبر وهدأ من روعه ، وقبل الأمر الواقع .

أجل ، أحببت تلك المدينة المضنية ، ولن يتحول هذا الحب إلى كراهية إلا إذا أرغمتنى الظروف على أن أعيش فيها أكثر من بضعة أشهر .
والآن أحدثك عن ذلك الجزء الهام بل الحيوى . . .

من كان يلدرى أن ذلك المحزر الذى كان قائماً على ضفة النهر الشرقى فى « منهاتن » سيصبح يوماً ما المكان الذى يلتقى فيه ممثلوا الدول ليحسّوا دون حدوث مجازر بشرية ، ويتعاونوا على صون السلام وتوطيد أركانه ، وعلى فض المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، والقضاء على أسباب الحروب ؟

تلك البقعة التى كانت تذبح فيها الخراف والعجول ثم استحالت إلى حلبة دولية سلمية ، كانت جزءاً من أملاك المليونير الأمريكى روكفلر .

أراد ذلك الرجل أن يضرب عصافورين بحجر واحد . تبرع بجزء من الأرض لتقيم فيها الأمم المتحدة مقرها الدائم . وهذا جميل جداً . ولكن أجمل منه وأدل على الفطنة ، والدكاء ، وبعد النظر ، والبراعة فى استثمار المال ، أنه أفاد من تشييد مبنى الأمم المتحدة إذ طفق يستغل الأراضى المحيطة بمقر الهيئة استغلالاً عاد عليه بخير مادی جزيل إذ ارتفع ثمنها أضعافاً .

ويسمى النيويوركيون الأمم المتحدة « القفص الزجاجي » أو « علبه الكبريت » . فهي مبنى شاهق يشبه في تصميمه علبه الكبريت ، مؤلف من ٢٨ طابقاً ، ويعمل فيه يومياً نحو أربعة آلاف موظف ، ويزوره سنوياً نحو مليون نسمة .

وعدد المراسلين الدائمين في الأمم المتحدة يتراوح بين ١٩٠ و ٢٠٠ مراسل . وفي أثناء الدورات يقفز هذا الرقم إلى ٧٠٠ ، على أقل تقدير .
و حين كنت في نيويورك رأيت من واجبي أن أكثر ما استطعت من التردد على مقر الهيئة ، والاتصال بأكبر عدد من أعضاء الوفود ، والحصول على البيانات والمعلومات التي تعوزني عن الأعمال والمهام الاجتماعية التي تضطلع بها هذه الهيئة . فأنا بحكم عملي أتتبع عن كثب ، وفي شيء من كثير من الاهتمام ، أعمالها السياسية ، وأحاول الوقوف على تفاصيل المنازعات الدولية التي تثار في الجمعية العامة أو اللجنة السياسية الرئيسية أو اللجنة السياسية الخاصة المتفرعة عنها . وأبذل قُصارى جهدى في سبيل استخلاص النتائج الملموسة والتطورات المرتقبة من المعارك الكلامية .

وقد أتيتحت لى الفرصة أثناء ترددى على مقر الهيئة لحضور جلسات بعض اللجان . وقد شهدت جلستين لمجلس الأمن ، واستطعت أن أتبع المناقشات عن كثب . وقد خرجت بنتيجة رئيسية عامة تُعده في الواقع من محاسن الأمم المتحدة ، إذ اتضح لى أن هذه الهيئة بمثابة صهام الأمان للمرجل

الضخم ، ففيها تنطلق الألسنة في حرية تامة ، وتلقى الخطب الضافية دون ما قيد ، ويخوض المتخاصمون والمتنازعون أعنف المعارك الكلامية . . . إنها مضمار دولي تتفجر فيه مراحل الغضب والحنق والسخط بدلا من أن تتفجر في ساحات الوغى .

ولقد استطاعت الأمم المتحدة ، فضلا عن ذلك ، أن تسوى مشكلات أو تمهد لفض منازعات أوشكت في وقت ما أن تؤدي إلى نشوب حروب لا يعلم إلا الله مدى العواقب الوخيمة وألوان الخراب والدمار التي كان يمكن أن تترتب عليها . ويكفي أن نذكر في هذا الشأن مشكلتي كشمير واندونيسيا

* * *

في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٤٥ أعلن ميثاق الأمم المتحدة متضمنا الأمانى المشتركة التي تنطوى عليها نفوس البشر جميعا بوصفه دستوراً رضيت الأمم الأعضاء الاهتمام بهديه في دعم الصلات القائمة بينها والتي تربطها بالعالم أجمع . وقد قررت أن توحد جهودها لإنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي ذقت الإنسانية الأمرين من جرائها في جيل واحد ، وأن تؤكد من جديد إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان ، وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم ، كبيرها وصغيرها ، من حقوق متساوية ، وأن تبين الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي ، وأن

تدفع بالرقى الاجتماعى قُدُماً ، وأن ترفع مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح ، وأن تأخذ أنفسها بالتسامح ، والعيش معاً فى سلام وحسن جوار ، وأن تضم قواها لصون السلم والأمن الدولى ، وأن تكفل ، بقبولها مبادئ معينة ورسم الخطط اللازمة لها ، ألا تستخدم القوة المسلحة فى غير المصلحة المشتركة ، وأن تستخدم الأداة الدولية فى ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية .

إن الأمم المتحدة لم تدخر وسعاً ، على الرغم من العقبات والعوامل المشبّطة التى واجهتها ، فى سبيل القضاء على أسباب الخوف ومعاول الهدم والدمار . ولا شك عندى فى أنها وفقت توفيقاً كبيراً فى هذا المضمار . وإذا كان التوفيق قد خانها فى بعض الأحيان فارجع ذلك إلى طبيعة تكوينها ، وما فى ميثاقها من نقص أو ضعف فى بعض مواده .

أما الأعمال والمهام الاجتماعية الإنسانية التى تضطلع بها الأمم فمجال الحديث عنها واسع ، ولا ريب فى أن شتى المنظمات التى وكلت إليها تلك المهام قد سجلت نجاحاً يدعو إلى التفاؤل والاستبشار حقاً . والرأى عندى أن فى مقدمة تلك المنظمات ، المنظمة الدولية للطفولة ، وقد أنشئت فى شهر ديسمبر عام ١٩٤٦ . وهى تحصل على الأموال اللازمة لها من الحكومات الأعضاء التى تتبرع لها . وتنفق تلك الأموال على توفير

الطعام والملابس والعلاج للأطفال الفقراء المعوزين في نحو خمسين بلداً في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية .

ولقد خربت الحرب العالمية الثانية ملايين من الدور ، وشردت ملايين من الأسر . وتعمل الأمم المتحدة ، عن طريق وكالاتها المتخصصة ، ولا سيما منظمة اللاجئين الدولية ، على توفير أسباب الأمل في الحياة للاجئين والمشردين . وقد أنشئت هذه المنظمة في شهر يولييه عام ١٩٤٧ . ومن أهم مزايا التعاون الصادق بين الأمم أن في وسعها أن تعالج معاً مشاكل يتعذر على كل منها أن تعالجها على حدة . ويتجلى هذا التعاون في هيئة الطعام والزراعة ، فهي تكافح المجاعات ، وتعمل على توفير المواد الغذائية .

ومعروف أن الخبرة الصناعية والعلمية اللازمة للتقدم في حلبة الحضارة والمدنية ليست متوافرة إلا في بلاد تعد على أصابع اليد الواحدة . وغنى عن الذكر أن ثمة ثغرة خطيرة بين الأمم المتقدمة صناعياً والمناطق المتخلفة اقتصادياً . وهنا تتضح لنا أهمية برنامج المساعدات الفنية الذي تنفذه الأمم المتحدة ، فهو يوفر العون الفني لكثير من البلدان ، نذكر منها بوليفيا والبرازيل وشيلي وإكوادور وهائتي والمكسيك وبورما وإيران وباكستان ، وغيرها من البلاد التي تعوزها تلك الخبرة الصناعية والعلمية .

وعندما يحين الوقت لكتابة تاريخ هذا القرن العشرين الذي نعيش

فيه سيسجل المؤرخون للأمم المتحدة فضلها على البشر بما كفلته لهم من حقوق وحريات منصوص عليها في تصريح حقوق الإنسان .

فمنذ فجر التاريخ لم يدخر الإنسان وسعاً في سبيل توكيد حقوقه ، وتوفير العوامل التي تكفلها ، وجعلها بمنجى من القيود الاستبدادية الصارمة . ولم ينقطع كفاح الإنسان ونضاله في هذا الميدان على الرغم مما عاناه من جور وعسف ، ومن بطش وظلم وطمع ، في مراحل حياته المتعاقبة . واستطاع الإنسان أن يبلغ هدفه حيناً ، ولكن النجاح لم يحالفه في أغلب الأحيان لأنه عجز عن توفير الأسباب القوية التي تمكنه من مغالبة العسف والتخلص من الطغيان .

وظل الإنسان هكذا يتقدم في حلبة النضال عن حقوقه المشروعة العادلة المقدسة خطوة ، ولا يلبث أن يلقي نفسه مكرهاً على الارتداد خطوات ، إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية بأعمالها الوحشية الإجرامية ، فأماط اللثام عما تنطوى عليه بعض النفوس الوضيعة الحفيرة عن احتقار لحقوق الفرد واستهانة بها ، وإهدار لكرامته ، وتمردٌ مخيف على القيم الروحية والمبادئ الإنسانية التي لا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونها ، وإلا كان كالألة الصماء أو الإنسان الآلى « الروبوت » يفتقر إلى الدوافع المعنوية التي تشجعه على العيش في صميم الحياة لا على هامشها ، وتعوزه الطاقة الروحية التي تدفعه إلى الأمام ، وتعينه على أن ينهض بنفسه ويسمو .

ولكن الحرب العالمية الثانية بشروطها وأهوالها لم تتيس الإنسان ولا هي استطاعت أن تقضى على أمله في أن يبلغ غايته التي ناضل في سبيلها منذ وجد على وجه الأرض ، أو تحوّل دون تطلعه إلى مستقبل زاهر مشرق ، تتوافر فيه العوامل التي تكفل له حقوقه المقدسة .

وفي العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ تحققت تلك الأمنية وتنفّس الإنسان الصعداء ، وأيقن أن كفاحه الطويل المضني لم يذهب هباء منثوراً ، فلقد أجازت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، باجماع مندوبي الدول الأعضاء ، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان .

وأهمّ ما ينبغي أن يلاحظ هنا أن هذا الإعلان يعد فريداً في نوعه ، لأنه ليس مقصوراً على جماعة أو شعب معين ، وإنما قصده به أن يكون نبراساً تستضيء به الإنسانية جمعاء ، وشعلة قوية يشمل وهجها الجميع بلا استثناء .

وتتجلى القيمة الحقيقية لإعلان حقوق الإنسان حين نعرف أنه يعارض كل تمييز أو تفريق بين الناس ، وينص على تقديس حريات الجميع ، ولا يستثنى من ذلك أهالي البلاد غير المستقلة أو غير المتمتعة بالحكم الذاتي .

ولم يكتف الإعلان بالنص على الحقوق التي سبق الاعتراف بها كحرية الفرد والعقيدة وحرية الاجتماع وحق المحاكمة وغيرها من الحريات

والحقوق التي نصّت عليها وثائق حقوق الإنسان السابقة ودرساتير كثير من الدول ، بل اشتمل كذلك على حقوق وحرريات واسعة تمتد إلى جميع ميادين النشاط البشري ، وفي مقدمتها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وكان للمرحوم الدكتور محمود عزمي فضل كبير فيما بذل من نشاط استهدف توكيد حقوق الإنسان . وكان ذلك في مقدمة العوامل التي جعلت اسمه يلمع في الأمم المتحدة .

بيد أن الأمم المتحدة لا تزال ، على الرغم من هذا كله ، بعيدة كل البعد عن أهدافها لأنها لم تستكمل بعد الأداة التي تيسر لها تحقيق رسالتها على النحو المنشود ، ولأن ثمة صراعنا مريراً بين الأفكار والنظريات ، وتطاحناً هائلاً بين القوى ، ولأن خطر نشوب حرب عالمية أخرى لن يزول إلا يوم تنشئ الأمم المتحدة قوة جماعية تمنع العدوان المسلح أو تقضى عليه .

والخلاصة أن أسس هذه الهيئة تستند إلى الإيمان . . . إيمان الناس بالقيم الإنسانية ، وإلى عقيدة هي أن الناس في كل بقعة من بقاع الأرض يتطلعون إلى مثل عليا واحدة ، وإلى هدفين جوهريين هما العدالة والسلام .

عَاصِمَةُ الْعُزْلَةِ

عاصمة العزلة هي « شيكاجو » أكبر أسواق الحبوب في العالم ، وأشد مدن العالم صلفاً وكبرياء ، وأكبر مركز للمواصلات الحديدية ، فهي ملتقى اثنين وعشرين خطاً رئيسياً وسبعة عشر خطاً فرعياً .

قضيت في هذه المدينة الجبارة حقاً ، التي تبسط نفوذها على « السهول الكبرى » و « البحيرات الكبرى » ، أربعة أيام رأيت فيها عجباً ، وسمعت عجباً .

رأيت نهر شيكاجو فاعتقدت أنه يصب ماءه في بحيرة « متشيجان » ، ثم تبين لي أن العكس هو الصحيح ، فإن البحيرة هي التي تصب مياهها في النهر بواسطة مضخات ضخمة ، لتغذية قناة صناعية !

ورأيت قضباناً حديدية معلقة ، فلما سألت عن سبب تعليقها قيل لي إن خطوط المترو في شيكاجو لم تملأ إلا في سنة ١٩٤٠ .

وأدركت أن المسافة التي تقطعها في المدينة على طول بحيرة « متشيجان » تزيد على خمسين كيلو متراً !

وسمعت في تلك المدينة أناساً يقولون في زهو وكبرياء « إن كل الطرق تؤدي إلى شيكاجو » ، وإن الناس جميعاً جاءوا إليها أو سيجيئون إليها .

بل سمعت هذا القول « إذا كنت تبحث عن شخص لا تعرف عنوانه

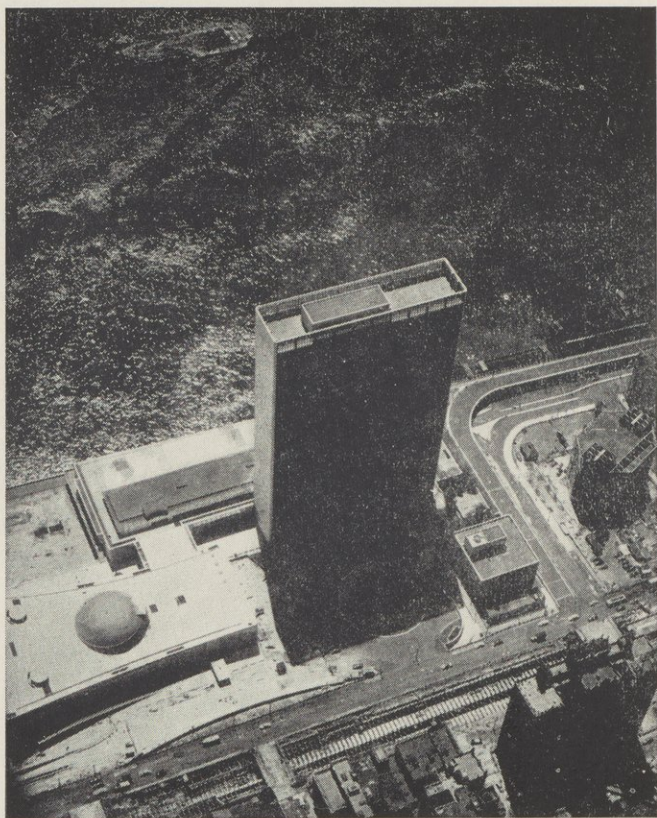
أو بلده فقّف عند ملتقى شارعى راندلف وستيت وثق أنه سيمر
بك يوماً ما !»

وأكثر من ثلث سكان شيكاغو لم يولدوا فى الولايات المتحدة ،
ولكنها ، على الرغم من كثرة الهولنديين والبولنديين فيها ، تعد عاصمة العزلة
فى الولايات المتحدة .

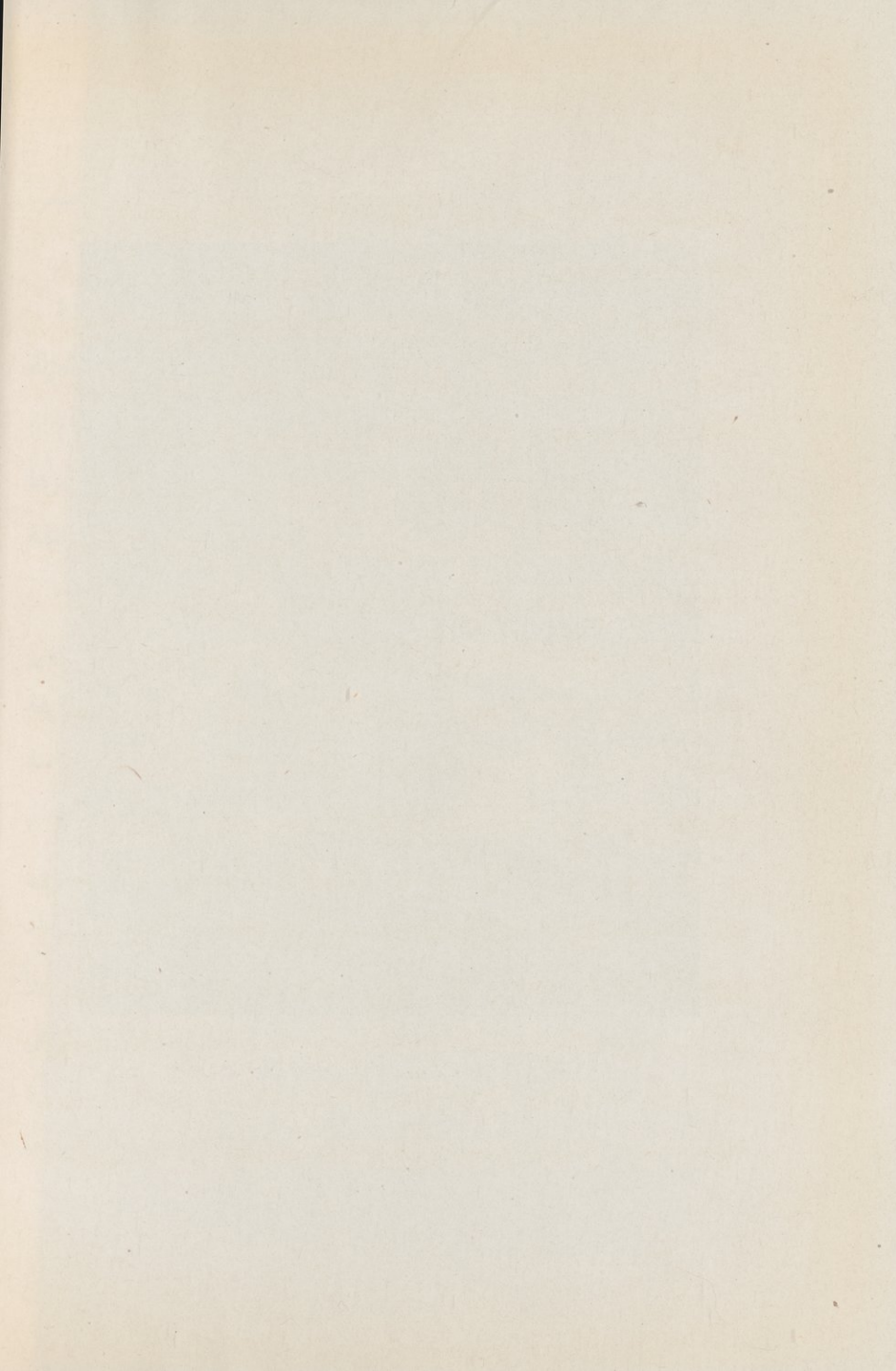
وعلم هذه العزلة هى صحيفة « شيكاغو ديلى تريون » التى يصدرها
الكولونيل « روبرت رثرفورد ماكورميك » التى تدعى أنها أكبر صحيفة
فى العالم .

وفى هذا يقول الكاتب الأمريكى « جون جنتر » فى مؤلفه النفيس
« داخل أمريكا » إن صحيفة « شيكاغو تريون » هذه ، أكثر من صحيفة
يومية . . . إنها إمارة إقطاعية شديدة الحساسية ، تدافع عن سياسة
خارجية من وضعها هى .

ويمضى « جنتر » فىقول إن « التريون » تذكره بالاتحاد السوفيتى
الذى يقضى وقته فى شن الحملات السياسية ، وهى ، شأنها شأن الاتحاد
السوفيتى ، دكتاتورية يسيطر عليها رجل واحد يحذر الأجانب حذراً
أعمى ، ويملك موارد طبيعية لم يستثمرها جميعاً ، ويكره أصحاب الدخل
الثابت ، ويمقت الإنجليز ، وينفر من السياسة البورجوازية نفوراً شديداً .
والكولونيل « ماكورميك » مشهور بسرعة الانفعال ، والرغبة العارمة



منظر من الجو للقفص الزجاجي . . . مبنى الأمم المتحدة



في فرض رأيه دون مناقشة . وآية ذلك أنه أمر ، ذات يوم ، بانتزاع نجم من العلم الأمريكي الذي يرفرف فوق دار صحيفته ، ليعاقب ولاية « رود أيلاند » بعد أن انتهى إليه أن سكانها لم يتجهوا في الانتخابات الوجهة التي كان يرجوها في عام ١٩٥٢ ، ثم راح يشن على الرئيس أيزنهاور حملة شعواء .

وحين عقد الحزب الجمهوري مؤتمره الانتخابي الرئيسي في شيكاغو كتب « ماكورميك » في صحيفته فصلاً رئيسياً قال فيه إن أيزنهاور لا يستطيع أن يأمل في أن يرشحه الحزب لرياسة الولايات المتحدة . ولم يكتف « ماكورميك » بذلك بل راح يؤيد « هاملتون فيش » زعيم العزليين الذي حاول ، وقتئذ ، أن يحدث صدمة في الحزب الجمهوري بإنشاء حزب جديد من الجمهوريين الثائرين على السياسة الدولية التي تنتهجها الحكومة .

بيد أن الجهد الذي بذله « ماكورميك » في صحيفته الواسعة الانتشار لم يحل دون موافقة أغلب أعضاء الحزب الجمهوري على ترشيح أيزنهاور للرياسة .

ومن عجب أن كثيراً من الرسوم الكاريكاتورية التي تنشرها هذه الصحيفة تمثل « العلم سام » في شكل قروي ساذج يستغله الأوربيون الأذكياء . وكان أحد الرسوم يمثل « كليمنت آتلي » . رئيس الوزارة البريطانية السابقة ، حاملاً علماً وهو يقول للعلم سام : « اربعوا ستالين بقنبلتكم الذرية التي يتكلف صنعها نحو مليارين من الدولارات ، حتى

يتسنى لإنجلترا الانفراد بإدارة شؤون أوروبا بالخمسة مليارات دولار التي ستقرضوننا إياها بدون فوائد .

وفي الثالث من شهر مارس عام ١٩٤٥ نشرت هذه الصحيفة نبأ تحت عنوان ضخم هو « قتل زوجته وأحرق جثتها » ، ونشرت تحت هذا العنوان الضخم عنواناً صغيراً هو « الأمريكيون يجتازون نهر الرين » .

هذه هي صحيفة « شيكاجو تريبيون » التي يزعم « جون جنتر » أنك لا تستطيع أن تفهم الولايات المتحدة إلا إذا عرفت — أى الصحيفة — وعرفت صاحبها . وقد أدركت مدى كراهية « ماكورميك » للأوربيين حين اطلعت على مقال كتبه عند مناقشة العون الأمريكي لأوروبا . قال : « عندما زرت المكسيك قبل عامين ، تعذر على النوم من جراء نباح الكلاب المتوحشة ... والرأى عندي أن نُرسل تلك الكلاب إلى أوروبا ليأكلها الأوربيون الجائعون . »

* * *

والآن أنتقل إلى بيت الطلبة في جامعة « شيكاجو » ، وهو البيت الذي شاعت الظروف أن أقيم فيه ثلاثة أيام .

هذا « البيت الدولي » يضم طلبة يمثلون زهاء خمس وخمسين دولة . وهو ، إذن ، أُمم متحدة صغيرة كنت أود لمنهوبى الدول فى الأمم المتحدة أن يقيموا فيه فترة من الزمن ليدرکوا — إن كانوا فى حاجة إلى الإدراك — معنى التعاون

الصادق والتآلف الوثيق ، وليعرفوا - ولا أحسبهم يجهلون - كيف يكون النقاش مثمرًا ، بعيداً عن المناورات الحبيثة ، خلواً من المطامع والأغراض التي تتعارض مع الأهداف السلمية للشعوب الراغبة في المعاشة الخالصة الصادقة أى ، في أن تعيش وتدع غيرها تعيش في أمن وهدوء وطمأنينة .

ناقشت طلبة هذا « البيت الدولي » في كثير من الأمور فألفيتهم يقبلون الحجة الوجيهة المقنعة في سماحة تدعو إلى الإعجاب حقاً ، واتضح لى أنهم يستهدفون فى حياتهم اليومية المتعة العقلية التي تيسرها لهم الدراسة فى تلك الجامعة العظيمة ، وأنهم يرون الجوانب الطيبة فى الحياة قبل أن يروا جوانبها السيئة ، ويؤمنون بأن الحياة أخذ ورد ، وأن التعاون ينبغى أن يتم فى جو من الهدوء والطمأنينة والأمن ، فى جو ملؤه الإشراق والتفاؤل والاستبشار وحسن النية .

هذا هو الجو الذى عشت فيه ثلاثة أيام نعمت خلالها بالراحة النفسية ، وشعرت بسعادة لا حدها ، ولذة ذهنية أنسى ما فى الحياة من شرور وآثام وآلام .

وقبل تلك الزيارة بأسبوعين تقريباً ، كان الصديق الفيلسوف الكريم الدكتور « شارل مالك » ، رئيس الوفد اللبناني فى الأمم المتحدة ، قد دعانى إلى الجلوس معه فى الجلسة التى عقدها مجلس الأمن للنظر فى مشكلة تحويل مجرى الأردن ، وهو المشروع الذى تصر إسرائيل على تنفيذه .

رأيت في ذلك المجلس ، وهو جزء رئيسي من الأمم المتحدة ، العجب العجاب . . رأيت كيف يكون التنافر والتباغض بين الدول ، ورأيت كيف تدبر المناورات والمؤامرات في الأروقة ، وأيقنت أن الأمم المتحدة في حاجة ماسة إلى تطهير شامل إذا أريد لها البقاء والاستمرار ، وإذا أريد لها أن تضطلع بالمهام السامية الموكولة إليها .

* * *

وبمناسبة الحديث عن جامعة شيكاغو أذكر أن لكلمة الجامعة عند الأمريكيين طائفة من المعاني المتداخلة المتشابكة ، يكاد المرء لا يجد لها مثيلا في سائر بلاد العالم .

فهى تعنى الزمالة الصادقة ، والتعاون الوثيق بين الطلبة في قاعات المحاضرات ، وفي حلبة الألعاب الرياضية ، وساعات الفراغ والتسلية ، وهى تعنى الود الذى يربط الأستاذ بتلاميذه وتعنى التثقيف المتصل المطرد على أساس من النقاش الهادئ المثمر الطويل ، ثم تعنى أبنية جميلة فيها قاعات فسيحة تتوافر فيها الشروط الصحية ، وتحيط بها الملاعب السندسية والحدائق الغناء .

وإذا كنت تسمع في الولايات المتحدة من يقول لك إن ابنه يساوى مليون دولار مثلا ، فإنك تسمع أكثر من ذلك من يفخر بأن ابنه متخرج في جامعة « كولومبيا » أو جامعة « ييل » أو جامعة « برنستون » أو جامعة « شيكاغو »

وأهم ما ينبغي ذكره هنا أن الحكومة الاتحادية لا تمنح الجامعات أية إعانات . وليس في الولايات المتحدة جامعات اتحادية ، وإنما فيها جامعات خاصة ، وجامعات تحصل على مساعدات مالية من المجالس البلدية ، وجامعات تنفق عليها حكومات الولايات . ومصرفات الدراسة في النوعين الأخيرين من الجامعات أقل منها في النوع الأول بمراحل .

ولكل من الجامعات في الولايات المتحدة ، وعددها ١٧٥٢ جامعة ، شخصيتها وطابعها الخاص ، وأهدافها الفكرية والثقافية ، وشهرتها في تدريس علم أو أكثر من العلوم . وبين الجامعات تنافس شديد يتفق وطبيعة هذا الشعب الذى يؤثر نظام المنافسة الحرة فى كل شىء على أى نظام آخر .

ويتجلى هذا التنافس بين الجامعات ، أكثر ما يتجلى ، فى اختيار المديرين . فجامعة كولومبيا مثلاً ، تفخر بأن الرئيس أيزنهاور تولى رياستها بعد أن ذاعت شهرته إبان الحرب العالمية الثانية بوصفه القائد العام لقوات الحلفاء فى الميدان الأوروبى . وجامعة بنسلفينيا تفخر بأن مستر هارولد ستاسن ، الذى رشح نفسه فى انتخابات رئاسة الجمهورية ، تولى رياستها فترة من الزمن .

وعندما يفرغ الطالب من دراسته يتسلم درجته العلمية فى حفل جامعى

يسمى البداية Commencement . وهذه الكلمة معناها أن الجامعة لا تُتهمل
 شأن الطالب بعد تخرجه ، بل تمضي في الاهتمام بأمره والإشراف الأدبي
 عليه . وهي لا تتردد في مساعدته على الالتحاق بعمل إذا شاء ، أو تهينة
 الظروف التي تمكنه من الحصول على إجازات علمية أرفع .

لَوْحَة زَيْتِيَّة تَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ



ناطحات السحاب في شيكاغو . . . عاصمة العزلة



سيارات الترولي في «ماركت» أهم شوارع عروس المحيط الهادى . . . سان فرانسيسكو



الترام « اليتيم » . . . أقام الناس وأقعدهم في سان فرانسيسكو



في هوليوود . . . هنرى ويلكوكس النجم السينمائي المخضرم
ومن كبار رجال شركة « بارامونت » يتحدث إلى المؤلف

سان فرانسيسكو عاصمة ولاية كاليفورنيا ، ومن أجمل مدن الولايات المتحدة . فهي تقوم على تسعة وعشرين تلاًّ تنحدر إلى المحيط الهادى . .
وهى مدينة المغامرات التى تصادفك مرات فى كل يوم . . . إنها مغامرات لذيدة تشبعك روحياً ، وتشجعك على أن ترى الجوانب الجميلة فى الحياة ، وتحملك على أن تكون مشرق الوجه ، دائم الميل إلى التفاؤل والاستبشار .

وأعتقد أننى أكون بعيداً كل البعد عن المبالغة والإسراف إن قلت إن سان فرانسيسكو كاللوححة الزيتية الرائعة ، تخلب لبك بجمالها ، وتسحرك بفتنتها . . . ولكنها لوحة زيتية نابضة بالحياة ، فوارة بالحركة .

وأهل هذه المدينة ديمقراطيون إلى أقصى حدود الديمقراطية . وإليك كيف لمست هذه الروح فيهم :

دعتنى زوجة المعقّب اليومى المعروف « ديك فرنديليك » الذى تنفرد صحيفته « سان فرانسيسكو كرونیکل » بنشر مقالاته ، إلى جلسة شعبية عُقدت فى دار البلدية ليدلى كل مواطن بوجهة نظره فى مسألة اعتبرها كثير من الحاضرين مسألة حياة أو موت . .

لاصلة لهذه المسألة بدستور الولاية ، ولا علاقة لها ببرلمانها ، ولست

أعتقد أنها يمكن أن تكون مسألة خطيرة إلى هذا الحد في أى بلد آخر .
 إنها مسألة « ترام » صغير يتسلق بعض تلال المدينة على قضيبين
 عاديين ، يتوسطهما قضيب ثالث متحرك يساعد العجلات على الصعود
 ويمنعها من الانزلاق .

هذا « الترام » اليتيم - وهو يتيم لأنه يتألف من مركبة واحدة -
 حبيب إلى أهل سان فرانسيسكو ، فهم يعدونه جزءاً لا يتجزأ من اللوحة
 الزيتية الرائعة التي يعيشون داخل إطارها .

بيد أن كثيرين من رجال المال والأعمال والمرور رأوا أن ذلك الترام
 اليتيم الصغير الذى يزحف على القضبان فى سرعة السلحفاة ، وتنظر إليه
 سيارات الركاب الكهربية الفخمة السريعة فى شىء كثير من الازدراء ،
 أصبح من مخلفات الماضى ، ولم يعد يساير ركب المدينة والحضارة ، فضلاً عن
 أنه يشل حركة المرور فى الأحياء التجارية التى تغص بالناس طيلة النهار ،
 فقرروا الدعوة إلى انتزاع قضبانه من وسط المدينة . وكان لا بد من إثارة
 هذا الموضوع الخطير فى جلسة شعبية تعقد فى دار البلدية .

وقد أدهشنى ، بل أذهلنى ، أن أرى المجتمعين يهتمون بالموضوع أيما
 اهتمام ، ويخوضون المعركة الكلامية كأن الأمر يتصل بقوتهم اليومى ،
 ويشتركون فى النقاش على نحو يدل أبغ الدلالة على مدى استعدادهم له ،
 ويسوقون الحجة تلو الحجة مؤيدين رجال المال والأعمال ، أو مفندين

gran
roots

وجهة نظرهم في جو ديمقراطي نعمتُ بالعيش فيه أكثر من ساعتين .
لقد سحرتني سان فرانسيسكو بجماها وروعة مناظرها ، وأبى سكانها
إلا أن يسحروني بروحهم الديمقراطية في تلك الندوة الشعبية التي تعلمت فيها
كيف يجري النقاش المجدي ، وكيف يكون التعاون في أجمل صورته .
والآن أسوق إليك قصة فيها عظة ، وفيها عبرة . . . قصة تصور
العصامية أجمل تصوير : وتمثل الرجولة أصدق تمثيل ، وتنطوي على العناصر
والعوامل التي تكفل التوفيق والنجاح في الحياة .
إنها قصة رجل عبرت به السفينة المحيط الأطلنطي منذ أكثر من
ثلاثين سنة ، ثم قفلت عائدة بعد أن تركته في نيويورك يصارع أمواج الحياة
المضطخبة المتلاطمة في تلك المدينة التي تضم أكثر من ثمانية ملايين نسمة .
غادر مسقط رأسه في أرمينيا ولمّا يتجاوز العشرين من عمره ، بعد
أن عانى الأمرين خلال ثلاث حروب ، ورأى أباه يلقى مصرعه على قيد
خطوات منه .

وشاء له الحظ أن يسرع إلى سان فرانسيسكو حيث اشتغل في أحد
المطاعم لقاء أجر قدره ١٢ دولاراً في الأسبوع . وبعد كفاح متصل دام
إزاء خمسة عشر عاماً استطاع صاحبنا أن يبتاع المطعم من صاحبه !
وهو الآن من أصحاب النفوذ الواسع في الولايات المتحدة ، فهو صديق
شخصي للرئيس أيزنهاور ، وهو من كبار مستشاري هيئة أركان حرب

الجيش فى مسائل التمويل . وقد اقتصد للقوات الأمريكية المسلحة ملايين الدولارات بما عرضه عليها من مقترحات بشأن التمويل نفذتها بحذافيرها دون أن تدخل عليها أى تعديل .

لقد أصبح رجلاً تفخر به الولايات المتحدة ، ولكن ينبغي للعرب أن يفخروا به أيضاً . . . فهو لم ينس أنه نعم فى صباه ، وفى شرخ شبابه ، بكرم العرب . وهو لا يكف عن الدعاية لهم فى كل مكان ، وبكل ما فى طاقته من نفوذ .

قابلته فى سان فرانسيسكو فرحب بى أبجل ترحيب ، وحدثنى عن مصرنا العزيزة التى زارها منذ بضعة أعوام حديثاً ملؤه الحب . وأجمل من هذا كله أنه أهلهانى صورته وكتب عليها « إلى مواطنى العزيز » . فلما واجهته بابتسامه بريئة بادرنى قائلاً « . . أجل أنا مصرى وإن كنت أمريكى الجنسية . أنا مصرى بما ينطوى عليه قلبى من حب لبلادكم . لقد أكرمت وفادتى حين هيات لى الظروف الفرصة لزيارتكم ، وشعرت بأننى بين أهلى وعشيرتى » .

هذا الرجل الذى يتطوع للدفاع عن العرب فى كل مناسبة ، ويعرب عن حنينه إلى الشرق ، ويحاول ، ما وسعته المحاولة ، أن يخدم بلادنا بما له من نفوذ قوى فى واشنطن . . هذا الرجل العصامى اسمه « جورج مرديكيان » ، وهو يمتلك ، فيما يمتلك مطعم « عمر الخيام » فى سان فرانسيسكو .

صاحبُ «عُمَرَ الْخَيَّامِ»

حدثتك في سياق الفصل السابق عن جورج مرديكيان ، في إيجاز مُخل . ومن ثم رأيت لزماً علىّ أن أفرد لهذا الرجل فصلاً فيه تصوير دقيق ما أمكن لشخصيته ونشاطه وإنسانيته .

إنه ، كما أوضحت لك ، مهاجر أرمني وفد على الولايات المتحدة وابتسم له الحظ . وهو يشكر الله كل يوم على رحمته به ، وفضله عليه .

هذا الرجل معروف بأعماله الخيرية في الشرق الأوسط ، كما هو معروف بالجهد الذي بذله لتحويل «طعام الجيش» إلى وجبات مفيدة ، شهية ، لذيذة ، للجنود الأمريكيين خلال الحرب الكورية . وهو يؤمن بأن الفرص تُخلق خلقاً ، وبأن مجال الفرص ما برح واسعاً فسيحاً في الولايات المتحدة .

وجورج مرديكيان رجل أعمال ، ومن هواة التحف ، ومن السباقين إلى خدمة البشرية . يحج إلى مطعمه المشهور «عمر الخيام» هواة الطعام الشهى من جميع أنحاء العالم .

وهو ، فضلاً عن ذلك ، يشرف على أعمال واسعة في كاليفورنيا ، تشمل زراعة الخضر والفاكهة ، وتربية الماشية ، وإدارة إحدى محطات

الإذاعة ، والإشراف على ممتلكات زراعية شاسعة . وهو ، فوق هذا كله ، من الخطباء المفوهين الملهمين .

كيف بدأ هذا الرجل حياته العجيبة ؟

يطيب لجورج أن يسمى يوم ٢٤ يولييه يوم عيد ميلاده ، لأنه اليوم الذى خطا فيه الخطوة الأولى فى جزيرة « إيليس » عند وصوله إلى بلاد « العم سام » .

كان قد شهد ثلاث حروب ، ومجاعات ، ومذابح فى وطنه أرمينيا ، حيث رأى أباه يقتل أمامه . وبدأت له جزيرة « إيليس » مكاناً عجيباً . فهناك رأى ، لأول مرة فى حياته ، رجلاً فى ثياب رسمية يتسم له ! ومنذ تلك اللحظة أصبح جورج أمريكياً ، رغم أنه كان لا بد من انقضاء خمسة أعوام قبل أن يتجنس بالجنسية الأمريكية .

وكانت أول ليلة قضاه فى حديقة « الباب الذهبى » بسان فرانسيسكو أشبه بكابوس .. خُيل إليه أن كل إنسان فى وطنه الحديد مصاب بالهوس ! ولما بزغ الفجر طفق يسير ، وتبع فى سيره قضبان الترولى حتى لا يضل ... حدثنى جورج عن ذلك اليوم فقال : « رأيت شرطيين ابتسما لى وقالوا « طاب صباحك » . ومضيت فى طريقى لا ألقى على شئ ، ورأيت كناساً يقوم بعمله وهو يغنى . كان ذلك شيئاً عجيباً حقاً ! »

ومضى يقول « وكان عامل الترولى يحاول أن يحدث نغماً موسيقياً بقدمه



طول هذا الكوبري ثمانية أميال . . . وهو يصل سان فرانسيسكو بأوكالاند . . .



عروس المحيط الهادى . . . من الجو

وهو يقرع الجرس . ورأيت بائع اللبن يترك زجاجات اللبن أمام الأبواب فلا يحاول أحد سرقتها . . فكان ذلك أعجب شئ رأيت في حياتي . »
ثم قال « وفي ذلك اليوم سمعت نشيد أمريكا فوطنت العزم على أن أكون أمريكياً مرحاً . وإني أحاول أن أكون أمريكياً مرحاً منذ ذلك الوقت . . »
وحصل هذا الأرمني المهاجر على أول عمل له في أحد المطاعم حيث اشتغل بغسل الصحاف لقاء اثني عشر دولاراً في الأسبوع . ثم لم يلبث أن حصل على عمل أفضل . وحين نفّض يده من العمل لحساب الآخرين كان أجره الأسبوعي قد بلغ ١٢٥ دولاراً .

يقول جورج « إنني أشعر بالاشمئزاز كلما قابلت جماعة من الطلبة وسمعت بعضهم يتحدث عن « تأمين المستقبل » . لقد أمّنت مستقبلي بنفسى ، وليس أجهل من أن تشعر بأنك عرفت كيف تفعل ذلك » .

واشتغل جورج كبيراً للخدم في رحلة بحرية حول العالم خلال عام ١٩٢٨ . وافتتح مطعمه الأول في سان فرانسيسكو عام ١٩٣٢ . وفي غضون عام ١٩٣٧ اشترى مطعمه الثالث ، وهو المطعم الذي كان قد اشتغل فيه بغسل الصحاف لقاء اثني عشر دولاراً في الأسبوع . وشيد مطعمه المشهور « عمر الخيام » في ذلك المكان .

ولجورج كتاب عنوانه « العشاء في عمر الخيام » - وهو كتاب حافل بأنواع الأطعمة والذكريات الطريفة . وهو يشتغل الآن بكتابة تاريخ

حياته ، وسينشره ببضع لغات كما سينشر ملخصه في مجلة « ريذرز دايجيست » . وقد كتب بضع مقالات في هذه المجلة ، وكان يرأسل صحيفة « ستارز آند سترابيس » أى النجوم والشرائط ، في عام ١٩٤٧ .

ورأى مريديكيان أن بعثة المواد الغذائية التى كان الرئيس الأمريكى الأسبق « هربرت هوفر » قد أوفدها إلى أوروبا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، قد أنقذت أوروبين كثيرين من الموت جوعاً ، فقرر أن يشرف بنفسه على إعداد معسكر « هوفر » فى المخيم السنوى للنادى البوهيمى على مقربة من سان فرانسسكو .

كذلك تزعم مريديكيان حركة بيع سندات الحرب فى « فرسنو » و « سان فرانسسكو » ، خلال الحرب العالمية الثانية .

وأثناء انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة فى سان فرانسسكو خلال عام ١٩٤٥ ، يستر مريديكيان الحياة لكثير من ممثلى الدول ، واستعان بخمسمائة من السيدات الأمريكيات على تقديم الطعام والشاى فى دار أوبرا سان فرانسسكو لألف وخمسمائة من ممثلى الدول . وكان يقدم الأطعمة الشرقية مرة فى الأسبوع فاستحق إطراء مندوبى دول الشرق الأوسط ، من مصريين ولبنانيين وسوريين وعراقيين وإيرانيين ، ممن كانوا يترددون كل ليلة على مطعم « عمر الخيام » .

وكان مريديكيان ، قبل الحرب العالمية الأخيرة ، مشهوراً محلياً (فى

سان فرانسيسكو) ولكنه اشتهر دوليًا في ذلك المؤتمر .

وقد أنفق على تعليم أربعة من طلاب الشرق الأوسط ، فكلفه كل منهم ١٥٠٠ دولار سنويا ، لمدة أربعة أعوام . لكنه اشترط أن يعود كل منهم إلى وطنه ليعلم مواطنيه ما تعلم ، فإذا أثر أحدهم البقاء في الولايات المتحدة وجب عليه أن يرد إليه ما أنفقه على تعليمه ، أى ستة آلاف دولار !

واستقدم مريكيان ، بوصفه مدير مؤسسة « أنشا » الخيرية ، ٤١٠٠ شخص ممن شردتهم الحرب ، إلى أمريكا الجنوبية والولايات المتحدة . وقد استقرت حياتهم جميعاً وزاولوا أعمالاً نافعة .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية ارتفع شأن مريكيان ، وأصبح يعد بطلاقوميا ، فقد قام بحملة لترغيب الأمريكيين في أكل لحم الضأن ، في وقت كان فيه جانب كبير من لحم البقر يصدر إلى ما وراء البحار ، ونشر في إحدى المجلات مقالا بعنوان « كان لعمر خروف صغير » ضمنه قائمة بالأطعمة الشهية التي تستطيع ربة البيت أن تصنعها من لحم الضأن ، كالكباب ، والكفتة ، والطورلى وغير ذلك .

وفي خلال الحرب الكورية سافر مريكيان مع مطابخ الميدان إلى الخطوط الأمامية ، واستمع إلى شكوى الجنود من طعام الجيش . وكان للتقرير الذى بعث به إلى القائد العام وقتئذ ، الجنرال « ماتيو ريدجواى » ،

أثر كبير في تحسين وجبات الطعام التي تقدم إلى الجنود .

ومنذ ذلك الوقت أصبح مريكيان المستشار الدائم في شئون الأغذية لقيادة الجيش الأمريكي . وأرسلت إليه وزارة الحرية عدة رسائل شكر لما قام به من أعمال كخبير في المواد الغذائية ، كما تلقى رسائل شكر من الرئيسين ترومان وأيزنهاور لمعاونته في حفظ الأغذية وتحسينها .

وقد مُنح مريكيان وسام الحرية . وهو زعيم شرف هندي لقبيلة « كيوا » الهندية ، واسمه في القبيلة « تاني آه إيت آتي » أي الزعيم ذو القلب الكبير . وهو عضو في الكشفة منذ أربعين عاماً ، وأحد أعضاء « مجلس إدارة الحركة الكشفية الأمريكية ، وحائز لأرقى وسام كشفى في العالم ، وهو وسام « الخمس الفضى » .

وهو ، علاوة على ما تقدم ، عضو في جمعية أوبرا سان فرانسيسكو ، وجمعية إنقاذ الطفولة ، والكنيسة الأرمنية ، ونادى كتاب كاليفورنيا ، ونادى سان فرانسيسكو الأولمبي ، وجمعية كاليفورنيا التاريخية ، ونادى الصحافة بسان فرانسيسكو .

وقد اقترن مريكيان في أول يونيو عام ١٩٣١ بنانزيج روسفانيان . وكان من أهداف هذا الرجل إظهار الأمريكيين على الدور الذي لعبه المهاجرون من الشرق الأوسط في بناء أمريكا . ومن أعز آماله أن تتوثق أواصر التفاهم التام بين شعوب الشرق الأوسط ووطنه الثاني أمريكا . إن في حياة جورج مريكيان درساً وعظة . . .

المَكَارِثِيَّة

كانت ولاية « ويسكونسين » ، وما برحت ، فوّارة بألوان الشذوذ
السياسى ، فقد كانت إحدى مدنها الكبرى ، وهى « ملووكى » حيث
تُصنع أفخر أنواع البجعة ، المدينة الأمريكية الوحيدة التى استطاع
الاشتراكيون أن يتولوا شئونها فى عام ١٩١٠ ، ولكن حكمهم انهار بعد
عامين .

ثم ظهرت فى تلك الولاية شخصية عجيبة حقاً ، كان لها أثر قوى
فى الحياة الأمريكية ، وكان صاحب تلك الشخصية رجلاً اسمه « روبرت
لافوليت » ، وجد المعقبون السياسيون كثيراً من أوجه الشبه بينه
وبين لنكولن .

كان « لافوليت » من أصل فرنسى ، كما يدل اسمه . ولكن لم يبق
فيه شىء يدل على أصله إلا الاسم . ولقد اتسعت شهرته بالحمالات الشعواء
التي كان يشنها على الشركات الرأسمالية ، وخاصة شركات السكك
الحديدية . ولاشك فى أن تلك الحملات أصبحت جزءاً من التاريخ
الأمريكى العام .

لقد خلف الرئيس الأسبق « ثيودور روزفلت » وسبق القطب السياسى
« هنرى والاس » فى إنشاء حزب تقدمى ، استطاع فى انتخابات الرئاسة

التي جرت في عام ١٩٢٤ أن يحصل على خمسة ملايين من الأصوات .
وقد عارض بشدة تدخل الولايات المتحدة ، خلال عام ١٩١٧ ، في
الحرب العالمية الأولى .

وطوى الموت « لافوليت » في عام ١٩٢٥ ، بعد أن أوصى بأن يمنح
مقعده في مجلس الشيوخ لأحد أبنائه . وقد شغل هذا الابن المقعد أعواماً
طويلة ، ولكن أقصاه عنه في عام ١٩٤٦ شاب رياضي مفتول العضلات ،
ظهر في معترك السياسة بفضل بعض الخدمات التي أداها أثناء عمله مع
الفدائيين البحريين الأمريكيين في المحيط الهادى إبان الحرب العالمية الثانية ،
وبفضل ما يمتاز به من قدرة عجيبة حقا على الكفاح والنضال . ذلك
الشاب الرياضي هو « جوزيف مكارثى » .

وبعد خمسة أعوام أصبح اسم « مكارثى » على ألسنة الملايين من
الأمريكيين ، وأضحت « المكارثية » من الكلمات التي تسمعها في كل
مكان بالولايات المتحدة ، وفي كثير من بلاد العالم .

ومعنى « المكارثية » عند الرئيس الأمريكى السابق هارى ترومان :
« افتئات على الحق ، وبُعد عن العدالة والتزاهة ، واعتماد على الكذب في كل
شئ ، وتوجيه التهم الباطلة بحجة المحافظة على الأمن وعلى التقاليد الأمريكية ،
وسرطان رهيب يلتهم الحيوية الأمريكية » .

وشبه أحد المعقبين « المكارثية » بحيوان شرس ، نسي صاحبه أن يلجمه



في مطعم « عمر الحيام » . . . جورج مارديكيان يحيي الملك فيصل وحاشيته



٢٥٠٠ شخص يتناولون الطعام دفعة واحدة . . . إن مارديكيان هو منظم المأدبة



جورج ماردیکیان مع المؤلف فی إحدى ضواحي سان فرانسيسكو



منظر لسان فرانسيسكو . . من قمة ناطحات السحاب

ويكتمه في الوقت المناسب ، فكبر وازداد ضخامة ، وقويت عضلاته واتسع فمه ، ونمت أنيابه نموا خطيراً ، ودفعته شرسته ووحشيته إلى أن ينطلق في الطريق يعرض من يشاء ، بعد أن يكون قد اعتدى على صاحبه الذي آواه ورباه وأطعمه ، ولكنه لم يعرف كيف يروضه ليكون أليفاً .

ولكن أصبح لـ « مكارثي » ، على الرغم من هذا كله ، ملاين من الأنصار المتحمسين له في شتى أنحاء الولايات المتحدة .

و « مكارثي » ، كما حدثني عنه بعض المتصلين به الذين استطاعوا أن يسبروا غور نفسه ، رجل لا يلين ، في وجهه سمات الحشونة ، وينطلق الكلام من فمه كأنه قنابل وصواريخ ، أو رصاص مدفع رشاش .

ويبدو لمن يرى هذا الرجل يخطب أو يناقش ، أو ينهال بالتهم على بعض الناس ، أنه مقدم شجاع . بيد أن بعض خصومه يقولون إنهم يشككون في أن يكون مقداماً ، فقد التحق ، إثر الاعتداء الياباني على « بيرل هاربر » كضابط استعلامات لإحدى تشكيلات قاذفات القنابل ، واشتهر بأنه ، كلما جلس في مكان المدفعية في إحدى قاذفات القنابل ، كان يطلق النيران على أى هدف ، حتى على الأشجار البريئة التي يقع عليها بصره .

* * *

قست الحياة على « جوزيف ريموند مكارثي » منذ طفولته التي لم
(٦)

يعرف فيها إلا البؤس والشقاء مع إخوته الستة . وحاول ، حين ناهز السادسة عشرة ، أن ينشئ مزرعة صغيرة للطيور الدواجن ، ولكن محاولته ذهبت هباء منثوراً . فعمل في متجر للبقالة ، واستطاع ، في الوقت نفسه ، أن يشق طريقه في مضمار التعليم حتى وصل إلى الجامعة حيث ظفر بإجازة في القانون . وكان أيام الدراسة في الجامعة يتنقل من عمل إلى آخر . وقد برع في الطهي لكثرة عمله في المطاعم . والتحق ، فترة من الزمن ، بإحدى شركات دفن الموتى .

واستطاع هذا الرجل ، بدهائه السياسى ، أن يغزو حلبة القضاء في غضون عام ١٩٤١ . ثم عاد إلى القضاء بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . وفي عام ١٩٤٦ أصبح عضواً في مجلس الشيوخ ، كما قدمنا .

وقضى « مكارثى » في مجلس الشيوخ العامين الأولين دون أن يقوم بحركة ما . ثم حدث فجأة أن ذاعت شهرته ، ليس في الولايات المتحدة فحسب ، بل في سائر أنحاء العالم أيضاً . فقد ألقى خطاباً قال فيه « تحت يدي الآن أسماء مائتين وخمسة من موظفي وزارة الخارجية الذين يعرف الوزير أنهم أعضاء في الحزب الشيوعى . ومع ذلك تفسح لهم الوزارة المجال لتحديد السياسة الأمريكية وتنفيذها » .

عندئذ ثارت ثائرة الرأى العام الأمريكى ، وأصرت الصحف على

معرفة تلك الأسماء . لكن « مكارثي » أعلن أنه يحتفظ بقنبلته ليفجرها في مجلس الشيوخ .

وظل الشعب الأمريكي قلقاً ، ثائراً ، متألماً ، نحو عشرة أيام . ثم انعقد مجلس الشيوخ ، وألقى مكارثي خطبة نارية ذكر فيها ٨١ خائناً من بينهم اثنان من كبار موظفي وزارة الخارجية هما « الجير هيس » و « أوين لاتي مور » .

وانبرى له الشيخ الديمقراطي الواسع النفوذ « تايدنجز » مؤكداً أن الاتهامات التي كالمها لوزارة الخارجية لا ظل لها من الحقيقة على الإطلاق ، وأنها هراء في هراء .

ولكن « مكارثي » لم يقيم أي وزن لنفوذ « تايدنجز » . بل ألقى خطبة نارية أخرى قال فيها إن هذا الشيخ الديمقراطي إنما ينفذ الأوامر والتعليمات التي يتلقاها من أساتذته وسادته الشيوعيين . واعتقد كثير من الأمريكيين آنئذ أن « مكارثي » باء بهزيمة منكرة ، وأن نفوذ « تايدنجز » ازداد قوة .

واستمرت المعركة بين الرجلين . ثم جرت انتخابات عام ١٩٥٠ ، فكانت النتيجة أن فقد « تايدنجز » مقعده في مجلس الشيوخ ، على الرغم من قوته السياسية وسعة نفوذه في ولاية « ميريلاند » . وكان الفائز بالمقعد رجلاً أضعف منه بمراحل . وهكذا أثبت « مكارثي » قوته ،

وبرهن بأقطع الأدلة على أنه خُلِق ليكون مناضلاً سياسياً قل أن يكون له ضريب في جلده وحيويته وطاقته الهجومية .

والواقع أنه ليس كل ما يكيله « مكارثي » من تهمة عار من الصحة كما يؤيد خصومه ، وإن كان من المحقق أن « المكارثية » تنطوي على شيء غير قليل من المبالغة ، والتمويه ، والتأويل المغرض .

مثال ذلك أن القائد الأمريكي الكبير السابق الجنرال « جورج مارشال » ارتكب أخطاء عديدة في الصين حين كان الماشال « تشيانج كاي تشيك » حاكماً بأمره ، أي قبل انقلاب النظام في تلك البلاد رأساً على عقب ، وتولى الشيوعيين أزمة الأمور فيها . ولكن حين أصدر « مكارثي » كتيباً اتهم فيه « مارشال » بالخيانة ، ساد الوجوم والألم والأسى مجلس الشيوخ ، واستبد الغضب بالرأي العام الأمريكي ، وتقدم « وليم بنتون » ، العضو الديمقراطي في مجلس الشيوخ ، بمشروع قرار يقضي بإقصاء « مكارثي » عن المجلس . وكان خصومه ينتظرون في هفوة الانتخابات التي جرت في عام ١٩٥٢ ليتخلصوا منه . ولم يدخروا وسعاً في سبيل منعه من الفوز في تلك الانتخابات .

ولكن عبثاً حاول خصومه النيل منه ، فقد انتصر على خصمه الجمهوري « ليونارد شميت » على الرغم من التجاء الثاني إلى كل وسائل الدعاية ، بما فيها التلفزيون .

وبعد أن وطد « مكارثي » مركزه في ولايته ، شخص إلى ولاية « كونكتيكت » لمحاربة خصمه وغريمه « وليم بنتون » الذي زعم أن مقدوره إخراجهم من مجلس الشيوخ . وكان من أثر الجهد الذي بذله « مكارثي » أن فقد « بنتون » مقعده في مجلس الشيوخ ! وهكذا سجل « مكارثي » لنفسه نصراً جديداً كان حديث الناس ، ومثار إعجاب الكثيرين في كل مكان .

والآن نرى لزماً علينا أن نلقى مزيداً من الضوء على « المكارثية » وعلى تأييد قسم لا يستهان به من الرأي العام الأمريكي لها . إن الشيوعية التي تكافحها السلطات المختصة في أمريكا ليست شيوعية الجماهير كما هي الحال في أوروبا ، وإنما هي شيوعية التسلسل ، إن صح لنا هذا التعبير . وحين انهارت السوق المالية في تلك البلاد خلال عام ١٩٢٩ كان عمر الحزب الشيوعي الأمريكي نحو عشرة أعوام . وقد قال « بنجامين جيتلو » ، الذي رشحه الحزب مرتين في انتخابات الرئاسة لتولى منصب نائب الرئيس ، إن الحزب لم يكن يضم خلال تلك الفترة أكثر من ستة عشر ألف عضو .

بيد أنني اطلعت على أرقام تدل على أنه كان للحزب أنصار يعدون بالآلاف . ففي انتخابات الرئاسة التي جرت في عام ١٩٢٤ حصل مرشح الشيوعيين على ٣٣ ألفاً و ٣١٦ صوتاً . وفي انتخابات

عام ١٩٢٨ قفز ذلك الرقم إلى ٤٨ ألفاً و ٧٧٠ صوتاً مقابل ٢١ مليون صوت ظفر بها الحزب الجمهورى . وقد بلغت القوة الانتخابية للحزب ذروتها فى عام ١٩٣٢ ، إذ حصل « وليم فوستر » مرشح الشيوعيين للرياسة على ١٠٢,٩٩١ صوتاً .

وحين أيد الحزب الشيوعى « إيرول برودر » ، الذى رشح نفسه للرياسة فى انتخابات عام ١٩٣٦ ، هبط الرقم إلى ٨٠ ألفاً و ١٥٩ صوتاً . وقد رشح « برودر » نفسه مرة أخرى فى عام ١٩٤٠ فلم يكن نصيبه إلا ٤٦ ألفاً و ٢٥١ صوتاً . ولم يرشح الشيوعيون أحداً فى انتخابات عام ١٩٤٤ . وفى عام ١٩٤٨ أيدوا « هنرى والاس » . الذى رشح نفسه للرياسة بوصفه زعيم الحزب التقدمى . ولكنه لم ينجح .

وقد تبين لى أثناء إقامتى فى تلك البلاد أن الشيوعيين يخططون كل الخطأ إذا اعتقدوا أن فى وسعهم إحداث انقلاب أو ثورة هناك ، لأن الأوضاع والأحوال التى تولد الثورات لا وجود لها فى الولايات المتحدة . فالزائر الذى يدرس الحالة الاجتماعية هناك لا يجد أثراً لاستياء عام أو جنوحاً إلى التمرد ، أو نشاطاً هداماً يذكر . ومرد ذلك إلى أن العدالة الاجتماعية تشمل الجميع .

ولكن من المحقق أن العدالة الاجتماعية لن تمنع العناصر الشيوعية الخطرة من محاولة القيام بسلسلة من أعمال التخريب ، إذا اشتبكت الولايات المتحدة فى حرب مع الاتحاد السوفيتى ، وإن كان من المحقق

أيضاً أن تلك المحاولة لن تكون سهلة يسيرة لأن مكتب المباحث الجنائية يقف للشيوعيين بالمرصاد ، ويضطلع بالمهام الضخمة الموكولة إليه على أتم وجه مستطاع منذ سنوات عدة .

و « مكارثي » لا يحارب الشيوعيين أنفسهم ، وإنما يحاول ، ما وسعته المحاولة ، أن يطهر الأداة الحكومية من العناصر التي كانت لها صلة بالحزب الشيوعي الأمريكي ، بعد أن اتضح أن الشيوعيين استطاعوا ، بتسللهم ، أن يسرقوا كثيراً من الأسرار العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والذرية . ولقد وُفق « مكارثي » في محاولته هذه توفيقاً أخرج الرئيس أيزنهاور نفسه ، وأوشك أن يؤدي إلى استقالة « ستيفنز » وزير الحرب . وفي هذا قالت صحيفة « التيمس » اللندنية : « لقد حقق مكارثي ما عجز عن تحقيقه الجنرال برجوين والجنرال كورنواليس . . . وهو حمل الجيش الأمريكي على الاستسلام » .

فكيف بدأ هذا الصراع ، وما الذي رمى إليه « مكارثي » ؟
 شرع « مكارثي » خلال عام ١٩٥٣ في محاولته الكشف عن بعض العناصر الهدامة في معسكر « فورت مونموث » بولاية « نيوجرسي » ، وأمكنه أن يثبت أن الشيوعيين استطاعوا أن يتسللوا إلى ذلك المعسكر في غضون الحرب العالمية الثانية . ولكن الأدلة والبراهين التي ساقها لم تكن قوية مقنعة . ومن ثم لم تقم الصف كبير وزن لها . وكان من أثر ذلك أن فُتِرت همته ، وأوشك أن يهمل الموضوع .

ثم حدث أن جندت السلطات العسكرية عضواً بارزاً في هيئة أركان حرب « مكارثي » ، هو «جيرارد ديفيدشاين» . و «شاين» هذا شاب في نحو السادسة والعشرين من عمره يستطيع أن ينفق عن سعة ، لأن أباه يملك عدداً من المطاعم في مدن الساحل الغربي .

فكان طبيعياً أن يحاول « شاين » التخلص من الجندية التي تفرض عليه قيوداً قاسية لم يألفها ، وتمنعه من ألوان اللهو الذي تتيحه له ثروته الضخمة ، وتحول دون مواصلة العمل مع « مكارثي » طلباً للشهرة وذبوع الصيت .

ولم يعر « مكارثي » هذا الموضوع اهتماماً يذكر في بداية الأمر ، ولكن معاونه الأول وساعده الأيمن « روى كوهن » ثار على قرار التجنيد لاعتماده على « شاين » فيما يقوم به من تحريات في الدوائر العسكرية . واضطر « مكارثي » إلى احترام رأى « كوهن » لأنه يعده أذكى وألمع شاب صادفه في حياته .

ولم يلبث الأمر أن تطور تطوراً خطيراً استطعت أن أتبعه عن كتب أثناء وجودي في واشنطن ونيويورك . علم « مكارثي » من عيونه وبعض الموالين المخلصين له من العسكريين أن قواد الجيش يستنكرون تدخله شخصياً لإسناد منصب محترم إلى « شاين » في نيويورك مثلاً . وعندئذ ثارت ثائرتة وسجل على شريط كهربائي جميع الأحاديث التي



مكارثی

دارت بينه وبين العسكريين .

ثم استدعى « مكارثى » ضابطاً كبيراً فى الجيش للتحقيق معه فى بعض الأمور . ويبدو أن إجابة الضابط كانت غامضة ملتوية ، فما كان من « مكارثى » إلا أن قال إنه ليس أهلاً للجنسية .

وحصل « ستيفنز » ، وزير الحربية ، على تقرير مفصل من ذلك الضابط عن التحقيق الذى أجراه معه « مكارثى » . ولم يكذب يفرغ من الاطلاع على التقرير حتى استشاط غضباً ، وأمر الضابط بعدم المثول مرة أخرى أمام « مكارثى » ، وقال إنه سيحضر التحقيق بدلاً منه .

وقبل « مكارثى » هذا التحدى فوراً ، وانتصر فيه بسرعة لأن « ستيفنز » لم يستطع حماية ضباط الجيش من أسئلة لجنة التحقيق البرلمانية التى يرأسها « مكارثى » .

وفى مستهل شهر ديسمبر عام ١٩٥٣ ، اتهم « مكارثى » البيت الأبيض بأنه لا يزال ، على الرغم من حلول أيزنهاور محل ترومان فى رئاسة الولايات المتحدة ، يثير الشكوك فى أعمال الحكومة وتصرفاتها . وقال إنه سيثير مسائل الشيوعية فى المعارك الانتخابية المقبلة .

وقد أثر أيزنهاور ، وقتئذ ، أن يتجاهل « مكارثى » ويتناسى حملاته الشعواء ، الفوارة بالقذف والاتهامات ، على الجنرال جورج مارشال وترومان .

بيد أن قسماً كبيراً من الرأي العام الأمريكي اهتم أيما اهتمام باستمرار « مكارثي » في النبش في الملفات والأضياع ، والبحث في كل مكان عن العناصر ذوات الميول الشيوعية التي لا تزال تنفث سمومها في إدارات الحكومة ومصالحها .

وكان أقوى دليل على اهتمام الرأي العام أن بعض محطات الإذاعة والتلفزيون قبلت أن تضع موجاتها الأثيرية رهن تصرف « مكارثي » . وهذا أمر له أهميته ومغزاه ما في ذلك ريب .

وإذا كان أنصار « ترومان » من الديمقراطيين يحددون على « المكارثية » أشد الحقد ، ويستنكرون حملات « مكارثي » كل الاستنكار ، فإن كثيرين من الديمقراطيين الأحرار يرحبون كل الترحيب بمسلك هذا السناتور لأنه يقول ما لا يجدون الشجاعة الكافية على الجهر به .

ثم أخذ الصراع بين أيزنهاور ومكارثي يزداد شدة وعنفاً يوماً في إثر يوم . وقد اتضح لي ، خلال اتصالاتي بالدوائر السياسية في واشنطن ونيويورك وبعض عواصم الولايات الأمريكية الأخرى ، أن ثمة شواهد على أن مكارثي يبدى هذا النشاط الجرمي في تعقب المتطرفين والشيوعيين ، ولا يكف عن مهاجمة الإدارات الحكومية ، توطئة لترشيح نفسه للرئاسة عن الجمهوريين في الانتخابات التي ستجرى خلال عام ١٩٥٦ .

وقد لمست بنفسى أثر الذعر الذي يبذره « مكارثي » في بعض الإدارات الحكومية خلال الأيام العشرة التي قضيتها في العاصمة الأمريكية

فى شهر يناير عام ١٩٥٤ . وقال لى موظف كبير فى وزارة الخارجية الأمريكية إن كثيرين من الموظفين الأبرياء الأكفاء يخشون على مستقبلهم ومصيرهم من جرّاء التحقيقات المربكة التى يُجرىها هذا السناتور - والحملات الشعواء التى يشنها فى جرأة قلّ أن يكون لها نظير .

ويلوح أن الرئيس أيزنهاور بدأ وقتئذ يشعر بخطور « المكارثية » يدنو من البيت الأبيض بسرعة مزعجة . ومن ثمّ عقد فى مستهل شهر مارس عام ١٩٥٤ مؤتمراً صحفياً أشار فيه إلى حملات « مكارثى » دون أن يذكر اسمه ، إذ قال إن التعاون الحقيقى بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ممكن فى جو من الاحترام المتبادل .

وقد احتلت « المكارثية » مكان الصدارة بين تعقيبات الصحف الأمريكية على بيان أيزنهاور ، وذكرت إحدى المجلات الأسبوعية الواسعة الانتشار والنفوذ أنه يمكن الاستغناء عن « مكارثى » سياسياً ، ويبدو أن الوقت المناسب لهذا الاستغناء قد حان ، وأن الرئيس أيزنهاور هو وحده الذى يستطيع أن يقصيه عن المنصب الذى يجعل اسمه يبرز فى الصحف بحروف كبيرة ، ويتيح له الفرصة لشن حملاته التى تسمى إلى سمعة الولايات المتحدة بين حليفاتها وفى سائر بلاد العالم .

وحدث بعدئذ أن تدخل الرئيس أيزنهاور فى الصراع ، فأمر كبار موظفى الحكومة بالامتناع عن إطلاع لجنة التحقيق البرلمانية ، التى كان

« مكارثي » يرأسها ، على الوثائق السرية الخاصة بالجيش .

وفي مستهل شهر ديسمبر عام ١٩٥٤ ، قرر مجلس الشيوخ بأكثرية ٦٧ صوتاً مقابل ٢٢ توجيه لوم علني إلى « مكارثي » . فما كان منه إلا أنه شرع يقوم بدور « الفارس الشهيد » ، إذ قال إن القرار الذي اتخذته المجلس بلومه لا يعدو كونه « عملاً أحمق » ، وإنه سيواصل مطاردته للشيوعيين عندما تهدأ هذه الزوبعة . ثم قال ساخراً « لست أعتقد أن في الإمكان تضليل الشعب الأمريكي . ويعلم الناس أن اللوم لم يوجه إليّ إلا لأنني فضحت أمر الشيوعيين الموجودين بين موظفي الحكومة . »

ومهما يكن من أمر فإن هذا اللوم العلني الذي وجهه مجلس الشيوخ إلى « مكارثي » يمكن أن يعد نقطة تحول في حياته السياسية ، وقد يكون له أثر قوي بعيد المدى في مستقبله بوجه عام .

عَظَمَةُ الصَّنَاعَةِ

حين زرت مدينة « ديترويت » عاصمة ولاية « ميشيجان » دفعتني هوايتي القديمة للسيارات إلى أن أفكر بادئ ذي بدء في زيارة مصانع فورد .

كنت أعرف الشيء الكثير عن تلك المصانع ، فقد قرأت عنها طويلا في مجلات السيارات التي كنت مشتركاً فيها ، كما قرأت كل ما وقع في يدي من كتب عن « هنري فورد » ، وعن العوامل التي كفلت له النجاح العظيم . ولكنني لم أكن أتصور أن تكون المصانع بهذه الضخامة ، وأن يصل العمل فيها إلى هذا الحد من التشعب ، وإلى هذه الدرجة من الدقة والإتقان مع السرعة المذهلة حقا .

رأيت كيف يتم تركيب أجزاء السيارة في نحو دقيقة ، وشاهدت الأفران والمصاهر الضخمة ، والورش التي تصنع فيها « الرفارف » والعجلات والهيكل والمحركات . ثم شاهدت هذه الأجزاء جميعاً تنقل على « عجل » إلى « خط التجميع » في دقة تثير الإعجاب .

رأيت هذا كله ، ثم قلت لنفسى دون تفكير : كيف أستطيع الاعتماد على سيارة يتم تركيب أجزائها في دقيقة واحدة ، مع أنه كلما أصيبت

سيارتي بعطب استغرق إصلاحه ما لا يقل عن ساعتين إذا كان العطب طفيفاً؟ وكيف أدفع ألفاً وبضع مئات من الجنيهات ثمناً لسيارة تخرج من المصانع بهذه السرعة؟
ثم فكرت وتذكرت . . .

تذكرت أن تصميم السيارة في مصانع فورد يستغرق عدة أعوام .
إنه يبدأ ببطء شديد حين يشرع المهندس في التفكير ، وحين يحرك الرسام قلمه فوق ورقة بيضاء .

وشيئاً فشيئاً تتبلور الفكرة في ذهن المهندس ، ويتحرك قلم الرسام بمزيد من الدقة . ثم تتحول الفكرة ومعها الصورة إلى نموذج صغير من الصلصال ، وإلى تصميم على الورق .

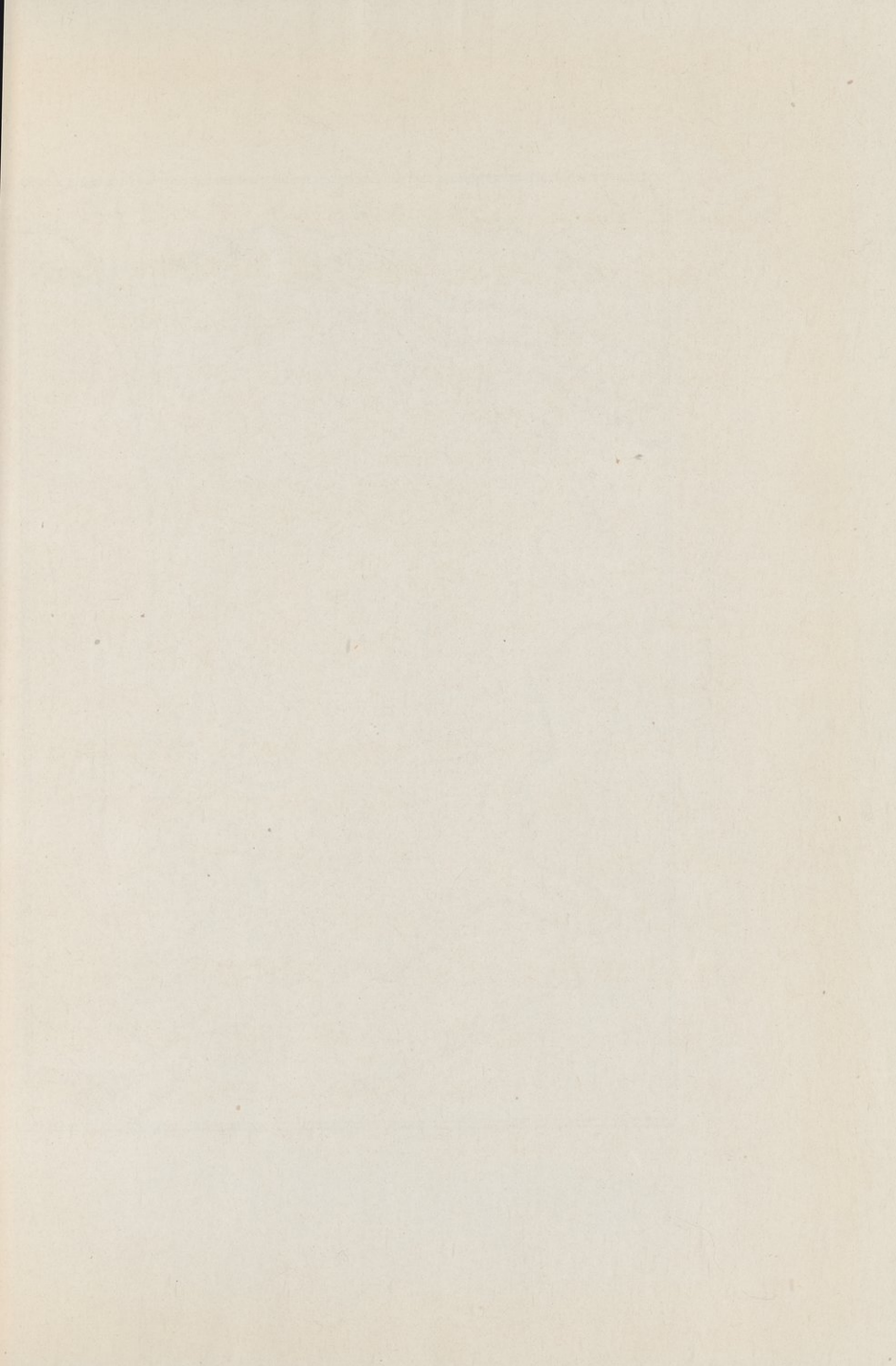
ويجتمع المهندسون ومصمموا الهياكل والخبراء لتبادل الرأي . وفي الوقت نفسه يجتمع الخبراء الماليون لتقدير تكاليف صنع السيارة الجديدة . فإذا اتفق الجميع صنعت السيارة الأولى من الطراز الجديد .

ولكن قبل أن تشرع المصانع في إخراج هذا الطراز بمعدل سيارة في كل دقيقة ، تختبر السيارة الأولى بدقة وعناية .

إنهم يضعونها في ثلاجة لمعرفة مدى مقاومتها للصقيع والجليد . ويطلقون عليها أعاصير صناعية ، ويغرقونها في بركة ، ويسIRON بها آلاف الأميال على شتى أنواع الطرق ، ويطلقون لمحركها العنان فينهب بها الأرض نهباً .



الولايات المنسوبة الأمريكية



إنهم يُجرون تلك التجارب القاسية لحرصهم على التأكد من متانة السيارة . . متانة هيكلها وعجلاتها ، وقوة احتمالها ، وقدرة محركها على الانطلاق بسرعة ، وعلى تسلق الجبال .

إن مديري مصانع فورد لا يأذنون بالشروع في صنع أى طراز جديد على نطاق واسع إلا بعد أن يمر بهذه المراحل جميعاً ، لأنهم يعرفون أن عملاءهم يضعون في الشركة ثقتهم التامة ، وأن هواة السيارات لا يرحمون . . .

فهم يريدون محركاً يستجيب لرغباتهم ونزواتهم ، ومن ثم يصرون على أن يكون قويا متيناً . وهم يريدون أن تكون المقاعد وثيرة ، وأن تكون السيارة مريحة ، لا تؤثر في سيرها وعورة الطرق . وهم يريدون أن يدور المحرك صيفاً وشتاء دون أن يؤثر فيه قيظ الصيف أو زمهرير الشتاء ، وأن يكون « بنجيلا » بقدر المستطاع في استهلاك البنزين .

إن مديري مصانع فورد يقيمون كبير وزن لهذا كله ، وهذا هو سر نجاح فورد .

ويطيب لى هنا أن أحدثك عن غرفة « الأحلام » في تلك المصانع ... في هذه الغرفة أو القاعة يطلق الرسامون والمصممون لأحلامهم العنان . ومهمتهم تنحصر في رسم الأفكار التي تترأى لهم . . . إن صورة في مجلة تمثل سمكة في البحر الأحمر قد توحى للرسام بفكرة لتصميم « رفرف » من طراز جديد ، أو صورة أخرى لطراز جديد من الطائرات النفاثة قد توحى

إليه بشكل جديد لمقدم السيارة أو غطاء المحرك .
ولعلك تريد منى الآن بعض الأرقام التي تدل أبلغ الدلالة على ضخامة
الإنتاج فى مصانع فورد .

إن تلك المصانع التى جعلتنى زيارتها أومن بالتصنيع والصناعة تنتج
مليوناً وسبعمائة ألف سيارة من مختلف الأشكال والأحجام فى كل عام ،
وتستخدم نحو مائة وخمسين ألف عامل موزعين على ثمانية وأربعين مصنعاً
فى ثلاثة وعشرين بلداً . وفى مصنع « ريفر روج » فى « ديربورن » بولاية
« متشيجان » ستون ألف عامل . ويبلغ مجموع الأجور اليومية مليون
دولار . والمصنع مشيد على أرض مساحتها ١٢١٢ فداناً .

فإذا علمت بعد هذا كله أن « هنرى فورد » بدأ مشروعه برأسمال
قدره ٢٨ ألف دولار فقط ، أيقنت أنه كان رجلاً عبقرى توافرت له
مقومات النجاح ، وإلا لما استطاع أن يستثمر ذلك المبلغ المتواضع
وينشئ مصانع فى بافالو (نيويورك) وكيفلاند وسنسناتى وكتنوتون
(أوهايو) ، وفى متشيجان ، وأن ينشئ مصانع للتجميع فى عدد من المدن .

لقد أفدت من زيارتى تلك المصانع فائدة كبيرة . وأرجو لكل من تتاح
له فرصة لزيارة الولايات المتحدة أن يقضى بضع ساعات فى تلك المصانع
حتى يدرك عظمة الصناعة .

صاحبة الجلالة الصحافة

تولدتنا لآلنا تيجل

الصحافة في الولايات المتحدة صاحبة جلالة حقاً ، وسلطة رابعة
ما في ذلك شك . والصحف التي تصدر باللغة الإنجليزية توزع في اليوم
الواحد أكثر من اثنين وخمسين مليون نسخة ، وأوسعها انتشاراً صحيفة
« نيويورك ديلي نيوز » التي توزع أكثر من مليوني نسخة يومياً خلال
الأسبوع وأكثر من أربعة ملايين نسخة في يوم الأحد . وتليها صحيفة
« شيكاغو تريبيون » إذ توزع يومياً نحو مليون نسخة ، ويقفز هذا الرقم
إلى مليون وخمسمائة ألف نسخة في يوم الأحد .

وأهم ما يشغل بال أصحاب الصحف الأمريكية ورؤساء تحريرها في
الوقت الحاضر هو الوقوف في وجه التلفزيون الذي أصبح خطراً عليها ، إذ
اتضح أن عدد الذين يجلسون يومياً أمام أجهزة التلفزيون لا يقل عن عشرين
مليوناً ، وأن كثيرين منهم أصبحوا أشد ميلاً إلى الوقوف على الأحداث عن
طريق مرآة التلفزيون .

وهناك اتجاهان أو رأيان في الوسائل الكفيلة بدفع خطر التلفزيون
عن الصحافة . فأصحاب عدد من الصحف الكبرى التي تنفر من التهريج
وترفض الاعتماد عليه في زيادة التوزيع ، يأملون في النهوض بأذواق القراء

ومستواهم بنشر أكبر عدد ممكن من الأنباء الصحفية الدقيقة ، والتوجيهات والإرشادات القائمة على الصدق والإخلاص ، والتعقيبات والتعليقات التي تعين القراء على فهم كثير من المسائل الملتوية المعقدة . وثمة آخرون من أصحاب الصحف لا يهتمهم إلا أن يزيدوا توزيع صحفهم على أوسع نطاق ممكن ، ويحصلوا على فيض من الإعلانات . ولو كان في ذلك تضحية بدوق القارئ .

الواقع أن الصحف الأمريكية استطاعت أن تواجه خطراً مماثلاً منذ أعوام حين شاع استخدام أجهزة الراديو في جميع أنحاء الولايات المتحدة . وكانت وسيلة أصحاب الصحف إلى ذلك شراء عدد كبير من محطات الإذاعة .

ولاشك أن المعركة أو المنافسة بين الصحف والتلفزيون ستكون شديدة عنيفة حامية ، ولا سيما إذا علمت أن نحو عشر صحف رأت لزماً عليها أن تتوقف عن الصدور خلال الأعوام الأخيرة . فلمن تكون الغلبة ؟

سؤال لا نستطيع الإجابة عليه اليوم ، وإن كنا نلاحظ أن الصحافة الأمريكية ، بوجه عام ، لم تبد حتى الآن قلقاً شديداً ، بل بالعكس ، بدأت تخطو خطوات تدعو إلى الاعتقاد أنها قد تتغلب على التلفزيون مثلما تغلبت على الراديو .

وليس للحكومة أى سلطان على الصحف فى أمريكا ، وما عليها -
 الصحف - إلا أن تحترم قوانين الصحافة النافذة . ويقول الدستور الأمريكى
 « لا يصدر الكونجرس قانوناً يتعلق بنشأة دين من الأديان ، أو يمنع حرية
 ممارسته ، أو يحد من حرية الخطابة أو الصحافة ، أو يحد من حرية الناس
 فى عقد اجتماعات سلمية ، وفى مطالبة الحكومة بالنصفة من الإجحاف » .
 والصحف نفسها لا تكف عن تأكيد تحريرها من سلطة الحكومة .
 والصحافة الحزبية لا وجود لها تقريباً فى الولايات المتحدة ، لأن
 الصحف يملكها أفراد وليست ملكاً لأحزاب سياسية .

وفى أمريكا الآن - طبقاً لآخر إحصاء وقفت عليه - نحو ألفى صحيفة
 يومية ، وأكثر من تسعة ملايين صحيفة أو مجلة أسبوعية .

والصحف الأمريكية الكبرى تعنى عناية كبيرة بأنباء العالم ، وبالاتجاهات
 والتيارات السياسية الدولية . وهى تتلقى يومياً فيضاً من الأنباء والتعليقات
 والتحقيقات الصحفية من شتى أنحاء العالم بواسطة وكالات الأنباء ، وأهمها
 « اليونيتد بريس » و « الأسوسييتد بريس » و « الأنتر ناشيونال نيوز
 سيرفيس » . ومراسلو صحيفة نيويورك تيمس وغيرها من الصحف الكبرى
 يوافون صحفهم يومياً بكل تفاصيل الأحداث الدبلوماسية والاقتصادية
 والعسكرية والمؤتمرات .

وأكبر دليل على مدى اهتمام صحيفتى نيويورك تيمس ونيويورك هيرالد

تربون بمشاكل العالم ، والمشاكل الأوروبية بوجه خاص ، أن كلا منهما تصدر طبعة دولية تطبع في باريس ، وترسل موادها مضغوطة على «الكرتون» من نيويورك بطريق الجو . وصحيفة كريستيان ساينس مونيتور متخصصة في نشر التحقيقات الصحفية الدولية . وهناك نحو تسعين صحيفة تتلقى من صحيفة شيكاغو ديلي نيوز تحقيقات صحفية يوافيها بها مراسلوها من الخارج . يمكن أن يقال إذن إن الصحف الأمريكية الكبرى اضطلعت بدور هام في إخراج الولايات المتحدة من عزلتها ، وفي إثارة اهتمام الشعب الأمريكي بشئون العالم .

بيد أن هذا الكلام لا ينطبق على بعض الصحف الإقليمية الكبرى . فحين كنت في سان فرانسيسكو حاولت عبثاً الوقوف على نبأ دولي واحد يمكنني من كتابة مقالى اليومى الذى كنت أرسله إلى «الأهرام» بالبرق . ومن ثم رأيت لزماً على أن أتصفح جرائد سان فرانسيسكو بسرعة ثم أقرأ بدقة النيويورك تيمس والنيويورك هيرالد تريبون والكريستيان ساينس مونيتور أو الشيكاغو ديلي نيوز .

ومن طريف ما حدث لى فى تلك المدينة الجميلة أن «مارجورى ترامبل» المعقبة فى محطة تلفزيون صحيفة سان فرانسيسكو كرونيكل دعتنى للظهور معها على التلفزيون . وبعد أن سألتنى عن المرأة المصرية ، والأهرام وأبى الهول وكنوز توت عنخ أمون ، والحياة الجامعية ومدى انتشار الثلاثات

الكهربائية في بلادنا ، بادرني قائلة : إلى أى حد تعنون في بلادكم بشئون العالم ؟

فلم يسعنى إلا أن أبتسم . وكان معى - لحسن الحظ - عدد من « الأهرام » كنت قد تلقيته قبل ذلك الاجتماع بثلاثة أيام . وكان مقالى فيه عن المعركة الكلامية السياسية التى كانت دائرة وقتئذ - يناير عام ١٩٥٤ - حول تعديل الدستور الأمريكى طبقاً لاقتراح تقدم به السناتور « جون بريكر » ، عضو مجلس الشيوخ عن ولاية « أوهايو » ، وكان عنوان المقال « نهاية الدبلوماسية السرية والاتجاه إلى تعديل الدستور الأمريكى » . فما إن ذكرت للمعقبة أن مقالى عن هذا الموضوع حتى بهتت ولم تنبس بحرف !

فقلت لها : إن الصحف المصرية أكثر عناية بشئون العالم من صحفكم الإقليمية الكبرى .

وعندئذ أخذت منى عدد « الأهرام » وفتحته أمام جهاز الالتقاط قائلة : هذا أمر مخجل . . « الأهرام » تكتب عن تعديل الدستور الأمريكى وصحف ولايتنا (كاليفورنيا) لا تشير إلى هذا الموضوع الخطير إلا فى إيجاز !

* * *

والحديث عن الصحافة فى الولايات المتحدة لا يمكن أن يكتمل إلا

بإظهار القارئ على نشاط وكالات الأنباء الأمريكية . ولا يتسع المقام هنا للحديث عن جميع الوكالات الكبرى ، ولهذا سأقصر كلامي على وكالة « يونيتد بريس » التي زرت مقرها العام في نيويورك ، ودرست نظام العمل فيها بشيء كثير من الدقة والعناية .

هذه الوكالة تعد من أكبر وكالات الأنباء العالمية ، فهي تجمع الأنباء والصور والأفلام الإخبارية من شتى بقاع الأرض ثم توزعها على نحو أربعة آلاف مشترك ما بين صحيفة ومجلة ومحطة إذاعة . وهي ، فضلاً عن ذلك ، توافي ما يزيد على مائة باخرة بنشرات لاسلكية خاصة ، وهي في عرض البحر .

وتنتظم اليونيتد بريس أكثر من عشرة آلاف موظف من مختلف الجنسيات في جميع أنحاء العالم ، منهم المحرر والمراسل والمصور الفني . أنشأ هذه الوكالة في غضون عام ١٩٠٧ الناشر الأمريكي المعروف « ادوارد ويليس سكريبس » ، وذلك بإدماج ثلاث وكالات محلية صغيرة كان يملكها حينذاك في الولايات المتحدة . وكان دافعه إلى إنشائها عدم ارتياحه إلى وكالات الأنباء الأخرى التي كانت فيما بينها تتولى جمع الأنباء وتوزيعها في شتى مناطق العالم .

ولقد وضع « سكريبس » نصب عينيه هدفاً مزدوجاً هو إنشاء وكالة تعتمد على نفسها في جمع الأنباء ، ثم تتولى توزيعها في سائر أنحاء العالم

دون أن تتقيد بمنطقة معينة بالذات ومع مراعاة الحياد التام .
 وكانت النتيجة أن أصبحت اليونايتد بريس أول وكالة أمريكية
 للأنباء توزع نشراتها الإخبارية في أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى . وكان
 توزيع الأنباء في أمريكا الجنوبية ، قبل ذلك ، وفقاً على وكالة «هافاس»
 الفرنسية ، وكانت وكالة روتر تنفرد بتوزيع الأنباء في الشرق الأقصى .
 بدأت اليونايتد بريس في عام ١٩٠٧ توزع أنبائها على ٣٦٩ صحيفة
 كلها في الولايات المتحدة . ثم تضاعف ذلك العدد في مستهل الحرب
 العالمية الأولى ، وامتد نشاط الوكالة إلى أمريكا الجنوبية خلال سني
 الحرب ، ثم إلى أوروبا في عام ١٩٢١ ، وإلى آسيا في العام التالي . وفي عام
 ١٩٢٩ بلغ عدد المشتركين ١١٧٠ في خمس وعشرين دولة . وظل العدد
 يزداد شيئاً فشيئاً حتى بلغ الرقم الحالي .

وحرصت اليونايتد بريس ، خلال العشرين سنة الأولى من حياتها ،
 على وضع أسس ثابتة للأساليب التي تتبع في جمع الأنباء وكتابتها ، مثال
 ذلك أنها كانت أول وكالة دَرَجَت على وضع اسم المراسل مع الخبر ،
 كما أنها اهتمت أتباً اهتمام بالأحاديث الخاصة والمقالات الوصفية .
 وسبقت اليونايتد بريس غيرها من وكالات الأنباء في غزو محطات
 الإذاعة في عام ١٩٣٥ ، إذ طفقت تُزَوِّدها بنشرات إخبارية تكتب
 بأسلوب خاص تراعى فيه البساطة والسهولة في تركيب العبارة ، حتى يتيسر

للمذيع أن يقرأها وحتى لا يجد المستمع مَشَقَّة في تَتَبُّعِهَا .

وفي عام ١٩٥١ أضافت اليونائيتد بريس فتحاً جديداً إلى أوجه نشاطها بأن أدخلت نظام « المَبْرَقة الكاتبة » التي تتصل بالآت اللينوتيب في الصحف ، ومعنى ذلك أن تتم في وقت واحد عملية إرسال الأنباء من مكاتب الوكالة إلى دور الصحف وعملية الجمع في قاعات اللينوتيب . وتتبع الوكالة الآن هذه الطريقة في جميع أنحاء الولايات المتحدة .

وفي خلال العام نفسه شرعت اليونائيتد بريس في استخدام التلفزيون . وفي العام التالى أدخلت الوكالة تغييراً على الطريقة التي توزع بها الأنباء من مراكز تجميعها على المشتركين فيما وراء البحار ، فاستبدلت بطريقة « مورس » التلغرافية طريقة المبرقة الكاتبة ، مما أدى إلى مضاعفة سرعة الإرسال من ٣٥ إلى ٦٠ كلمة في الدقيقة ، كما أمكن بهذه الطريقة إرسال الأنباء بنصها الكامل دون ما حاجة إلى استبعاد الكلمات التي تفهم من السياق مثل حروف الجر .

والمكتب الرئيسى لليونائيتد بريس فى نيويورك . ويديرها رئيس عام يليه خمسة نواب ، يشرف كل منهم على وجه من أوجه نشاطها العامة ، وأربعة نواب آخرين يديرون شئون الوكالة فى أربع مناطق كبرى فى العالم هى أوربا (ويدخل الشرق الأوسط فى نطاقها) وآسيا وأمريكا الجنوبية والمحيط الهادى .

وللوكالة مائة وستون مكتباً في جميع أنحاء العالم مقسمة إلى مجموعات تتبع كل منها منطقة من المناطق الأربع السالفة الذكر .
وتوزع الوكالة أنبائها على مشركيها بواسطة شبكات ضخمة من الخطوط اللاسلكية تستأجرها من الدول المختلفة . وطول تلك الشبكة في الولايات المتحدة ٣٣٠,٠٠٠ ميل وفي أوروبا ١٥,٠٠٠ ميل .



المادّية والرُّوحية والديمقراطية



تیسری کتاب تیسری کتاب

كنت أعتقد قبل زيارتي الولايات المتحدة أنني أعرف الشيء الكثير عن تلك البلاد . فأنا بحكم عملي لا بد أن أكون على علم بدستور الولايات المتحدة ، ونظام الحكم فيها ، وسياسة كل من حزبيها الرئيسيين الجمهوري والديمقراطي ، والتيارات السياسية والفكرية التي تنهض منها أو عليها من وقت إلى آخر ، وسياستها في أمريكا الجنوبية ، وأوروبا الغربية ، والشرق الأوسط والأقصى ، وموقفها من المعسكر الشيوعي .

وكنت أعتقد أن الشعب الأمريكي لا بد أن يكون شعباً مادياً يتحكم الدولار في مقومات حياته وأنه ، لفرط إسرافه في المادية ، يفتقر إلى العوامل الروحية والفنية التي تنسى المرء متاعبه وهمومه ، وتجعل منه إنساناً يقدر القيم الروحية ، لا مجرد فرد تعوزه العواطف النبيلة ، ولا يعرف معنى للتآزر والتآلف والتعاون إلا إذا كانت المنافع والمغانم الشخصية لحمتها وسداها . وكنت أرجع هذه المادية المتطرفة إلى الإسراف في التصنيع ، وإلى الرغبة العارمة في الإنتاج على أوسع نطاق ممكن .

وكنت أشاهد بعض الأفلام الأمريكية فيدخل إلى أنها تنقل إلينا صورة صادقة واضحة المعالم للحياة في الولايات المتحدة . . . عصابات إجرامية يقتل أفرادها الناس دون وازع من ضمير ، وغايات يضرين بـ لتقاليد الكريمة والقيم الخلقية عرض الحائط ، وشباناً يدفعهم النزق والاستهتار

بكل شيء إلى العربة والإغراق في الموبات ، وشعباً لا يعرف للحياة لذّة إلا في عب الجمعة وغيرها من أنواع الحُمور .

وقبيل ظهر الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٥٣ كنت واقفاً أمام موظف الجمر في مطار نيويورك . وكان معي في إحدى حقائبى فيلم عن مصر في عهد الثورة . ولما كنت أعرف أن السلطات الأمريكية تخشى أن يهرب أحد إلى داخل الولايات المتحدة أفلاماً فيها دعاية شيوعية ، فقد بادرت الموظف قائلاً : احتفظ بالفيلم لكي تعرضوه وتعرفوا موضوعه ، ثم أعيدوه إلىّ في أى وقت تشاءون .

فلاذ الموظف بالصمت هُنَيْهَةً وهو يتفرس في وجهى ، ثم أجباني وقد انفرجت أساريه : لماذا أفترض أنك غير صادق ؟ خذ فيلمك ياسيدى ، وأرجو لك إقامة طيبة وزيارة ممتعة .

قلت لنفسى : إنها لبداية طيبة أن تلمس في أول أمريكى تصادفه في أمريكا المغرقة في المادية هذا الشعور الطيب ، وهذه الثقة بالناس ، الثقة بالجناب الطيبة في نفوسهم .

وقد قطعت ، خلال الأيام الثمانية التى قضيتها في نيويورك ، عشرات الكيلومترات سيراً على قدمي ، واتصلت بأناس كثيرين ، وأيقنت أننى كنت مخطئاً في اعتقادى بشأن مادية الأمريكيين وتفكيرهم الدولارى ، إن صح لى أن أسك هذا التعبير .

لقد اتضح لى أن دافع الأمريكى إلى التفانى فى عمله ، والظفر بأعلى مرتب أو أجر ممكن ، هو رغبته الملحة فى أن يرفع مستوى معيشته ما وجد إلى ذلك سبيلا . فطبعى إذن أن يتخذ من المادية المقبولة وسيلته إلى أكبر قسط من الرغد والرفاهية .

والأمريكى ، فضلا عن ذلك ، منبسط ، كما يقول علماء النفس ، لا يحب الانطواء على نفسه . وهو لهذا صريح ، يحدثك فى غير لف أو دوران . فإذا زرت موظفاً فى مكتبه اعتذر لك فى صراحة عن الإفازة فى الحديث معك إن كان مشغولا . والشرقى الذى يجهل العقلية الأمريكية ، ولا يعرف شيئاً عن طباع الأمريكين وخصالهم ، يصدمه هذا الضرب من المعاملة ، ويجد فيه إسرافاً فى المادية ، مع أنه لا يعدو كونه صراحة .

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هام هو : كيف يمكن أن يكون الشعب الأمريكى مغرقاً فى المادية مع شدة شغفه بالموسيقى ؟

لقد وجدت فى كل واحدة من عواصم الولايات التى زرتها فرقة موسيقية كبيرة قوامها أكثر من مائة عازف . بل وجدت فى معظم المطاعم الشعبية « الكافيتيريا » جهاز راديو أو جهازاً لإدارة الاسطوانات الموسيقية على كل منضدة .

وكيف يمكن أن يكون الأمريكيون ماديين مع شدة ولعهم بالفنون والآداب ؟ إنك تستطيع أن تقضى عدة شهور فى ارتياد المسارح والمتاحف

دون غيرها من وسائل التثقيف والمتعة العقلية ، إذا سمحت لك الظروف وواتتك الفرص لزيارة عواصم الولايات .

ثم كيف يمكن أن يكون الأمريكيون ماديين مع أنهم طهريون في مجموعهم ، ومع أن الكنائس والمعابد ، وهى تعد بالآلاف ، تغص دائماً بالمؤمنين في مواعيد الصلاة ؟

إن الأمريكي يُسَخِّرُ الدولار الذى يكسبه بعرق جبينه ، وإخلاصه لعمله ، وأمانته ودقته فيه ، وتفكيره التقدمى التطورى ، لينعم فى ساعات الراحة وأوقات الفراغ بالرفاهية التى يعتقد أنه جدير بها .
ولقد تجلّت لى الروح الديمقراطية فى كل مظهر من مظاهر الحياة . فالناس متساوون فى كل شىء ، متساوون أمام القانون ، متساوون فى الفرص ، لا يفرطون فى حقوقهم لأنهم يؤدون ما عليهم من واجبات على أتم وجه ممكن . ولكنهم يعرفون أن هذه الحقوق والواجبات متشابكة متداخلة ، ومن ثم يتساندون ويتعاونون على نحو مثمر فى معظم الأحيان .

وحقوق الأمريكيين مكفولة لهم لأن الشعور بالمسئولية طبيعة متأصلة فى نفوسهم . والعكس صحيح أيضاً ، فإن اضطلاعتهم بالتبّعات التى توكلُ إليهم بما يرضى ضمائرهم أولاً ، هو دافعهم على الإصرار على أن تكون حقوقهم مكفولة .

وواضح أن هذا الشعور القوى بالمسئولية مرده إلى أن الرعيل الأول

من الأوربيين الذين هاجروا إلى « العالم الجديد » حباً في الحرية ، وفراراً من شتى ألوان الاضطهاد والكبت الفكرى ، اضطروا إلى الاعتماد على أنفسهم فى كل شىء ، وألفوا هذا الشعور فى حياتهم ، وانتقل منهم بالوراثة إلى أبنائهم وأحفادهم .

ومن الأدلة القاطعة الدامغة على تأصل المبادئ الديمقراطية فى نفوس الأمريكيين ، أنك لا تجد فى الولايات المتحدة فوارق كبيرة بين الطبقات . فلا طبقة أرستقراطية بالمعنى التقليدى ، وأخرى بورجوازيه ، وثالثة دنيا ، والخطوط بين هذه الطبقات طفيفة مرنة . فالمليونير يدخن نفس السجائر التى يدخنها العامل ، وهذا الأخير قد يملك سيارة كتلك التى يملكها صاحب الملايين .

وترجع مرونة الخطوط بين الطبقات إلى أن المليونيرات ، وهم عديدون ، كونوا ثرواتهم الضخمة بعرق الجبين ، والاجتهاد والدقة والإخلاص والتفانى فى العمل ، فهم ، والحالة هذه ، لا يشعرون بأن ثمة شيئاً يميزهم على مواطنيهم الذين لم تسنح لهم فرص الإثراء . ولكنهم — أى المليونيرات — يعرفون ما عليهم من واجبات والتزامات اجتماعية ، فهم يساهمون فى إنشاء المعاهد العلمية ، ومعامل الأبحاث ، مشاركة منهم فى النهوض الاجتماعى والعلمى والثقافى .

والأمريكيون يشعرون حقاً بأن حكومتهم منهم وبهم ولهم ، وأنهم

يشتركون فى الحكم اشتراكاً فعالاً ، وأن الأمر بيدهم أولاً وأخيراً . وإليك ما جاء فى « إعلان الاستقلال الأمريكى » الذى صدر فى الرابع من شهر يوليه عام ١٧٧٦ : « إننا نعتبر هذه الحقائق واضحة فى حد ذاتها : أن الناس كلهم خلقوا متساوين ، وأن الخالق قد منحهم حقوقاً ثابتة لا يمكن انتزاعها منهم . وبين هذه الحقوق الحياة والحرية ونشيدان السعادة . ولضمان هذه الحقوق أنشئت الحكومات بين الناس ، وهى تستمد سلطتها العادلة من رضى المحكومين . وعندما يصبح أى شكل من الحكومات أداة هدم لتلك الغايات فمن حق الشعب أن يغيرها أو يزيلها ، وأن يقيم مكانها حكومة جديدة ، مؤسساً إياها على مبادئ ، ومنظماً سلطانها على وجه بحيث تبدو له أنها أجدر بأن تحقق له السلامة والسعادة .

* * *

حدثنى صديقى وزميلى الأستاذ نجيب كنعان ، السكرتير العام لتحرير « الأهرام » ، قال :

حينما زرت الولايات المتحدة للمرة الأولى ، فى عام ١٩٤٦ ، اجتمعت بزملائى الصحفيين فى مكتب بنيويورك تابع لوزارة الخارجية . وكان أول ما لفت نظرى أن مدير المكتب وضع أمامنا خريطة الولايات المتحدة وبادرنا قائلاً : « ما هى الولايات والمدن والبقاع التى تريدون زيارتها ؟ أعرف أن رحلتكم فى بلادنا ستدوم شهراً ونصف شهر ، ولكم أن ترسموا خط

السير على النحو الذى تؤثره ، وأن تزوروا المدن التى تفضلونها على غيرها . وفى وسعكم أن تروا أى شىء . . . المصانع الحربية ، ومصانع السيارات ، ومعاهد الأبحاث العلمية . . . الخ .

وكان « البنتاجون » - مقر وزارة الدفاع الأمريكية - من بين المرافق التى طلبنا زيارتها . ولشد مادھشنا حين قيل إن لنا مطلق الحرية فى زيارة كل قسم من ذلك المبنى الضخم ، مع أن الحرب العالمية الثانية لم تكن قد وضعت أوزارها إلا منذ زهاء عشرة أشهر ، وعلى الرغم من أن القنبلة الذرية كانت فى أول عهدها . لقد جلنا فى البنتاجون دون أن يُفرض علينا أى قيدودون أن نشعر بأن ثَمَّةَ مساساً بحريتنا .

وثمة أمر آخر لفت نظرى فى الولايات المتحدة ، هو الحرية المطلقة التى تتمتع بها الصحافة . إن الصحف الأمريكية تستطيع أن تهاجم من تشاء ، وأن تشن ما يحلوها من الحملات على شريطة ألا تكون هذه الحملات شخصية .

وكنا ذات يوم نتجاذب أطراف الحديث فى القطار مع كبير من رجال وزارة الخارجية الأمريكية . وجاء فراش القطار ، وهو زنجى ، فاشترك معنا فى الحديث ، وناقشناه فى طائفة من المسائل السياسية ، فحمل على ترومان - وكان إذ ذاك رئيساً للولايات المتحدة - حملة منكرة متهماً إياه بالغباء وقصر النظر . ومن عجب أن ذلك الموظف الكبير ظل يصغى

إلى الفراش الزنجى فى هدوء كأن كلامه ليس فيه مساس بشخصية رئيس الجمهورية .

واسمع يا صديقى هذه القصة التى تصور مدى حق الفرد فى تلك البلاد :

كنت أزور أحد الخزانات التسعة عشر فى مشروع وادى تنيسى .
وفىما أنا أبدى إعجابى بمحطات توليد الكهرباء الضخمة المثبتة على الخزانات والأهوسة التى تتسع للسفن النهرية الكبيرة الضخمة ، دنا منى مهندس الهويس وقال : سترى الآن كيف يعمل هذا الهويس .

قلت : لا داعى لذلك الآن إذا كان الأمر يدعو إلى استهلاك شحنة كهربائية كبيرة لا بد أن تكلفكم مئات من الدولارات .
قال : « لا خيار لنا فى الأمر يا سيدى . إننا مضطرون إلى فتح الهويس لأن هناك زورقاً مقبلاً . وأشار بإصبعه إلى قارب صغير يتسع لشخص واحد . . .

وقع نظرى على شاب يناهز الثامنة عشرة جالساً فى الزورق وعلى الحافة فتاة فى مثل سنه تقريباً . وكانا مقبلين من أعلى النهر .
قال المهندس : « هذا الشاب يريد أن يرافق صديقته حتى دارها ، ولا بد لهما من اجتياز الهويس . »

ودارت الأجهزة الكهربائية ، وبدأ تفريغ مئات الألوف من الأمطار

المكعبة من مياه نهر تنيسى . . . أما الشاب وفاته فقد كانا يتراشقان بالابتسامات ، ويطلقان الضحكات ، كأن الأمر لا يعنيهما على الإطلاق . وبعد أن تم التفرغ اجتاز الشاب والفتاة الهويس ، وهكذا رافقها إلى دارها .

وعندئذ أردت الانصراف ، بيد أن المهندس بادرنى قائلاً : مهلا ياسيدى . بعد قليل ستشاهد هذه العملية بطريقة عكسية ، إذ من حق الشاب أن يعود . .

قلت : هذا إسراف . ألم يكن الشاب يستطيع أن يحمل قاربه الصغير الخفيف على كتفه ، ويرافق صديقه حتى دارها سيراً على الأقدام ؟ فأجبنى المهندس قائلاً : إن طرق المواصلات فى أمريكا حق لكل فرد . وليس لنا أن نوصدها فى وجه أى شخص لأن حرية التنقل من حق دافع الضرائب . . .

رَأْسُ الْمَالِ عَبْدٌ لِلْمُجْتَمَعِ

مجمع المطبوعات

يقول الشيوعيون إن رأس المال الأمريكي لا يدّخر وسعاً في سبيل

استغلال الشعب . فما مدى صحة هذا الكلام ؟

شغل الجواب على هذا السؤال بالى خلال المدة التى قضيتها فى تلك البلاد . وكان أهم شىء يسر لى الجواب وقوفى على البيانات التى يجمعها مكتب الإحصاءات العمالية U.S.Bureau of Labor Statistics عن أسعار السلع الاستهلاكية . والغرض من جمع هذه البيانات هو إظهار التغيرات التى تطرأ على تكاليف المعيشة . وهى — أى البيانات — تتضمن إذن السلع التى يؤثر سعرها تأثيراً ملموساً فى تكاليف المعيشة .

وهذه البيانات التى لا تشمل إلا السلع التى تبتاعها « الأسر ذوات الدخل المعتدل » تتضمن منذ مدة عدداً من السلع ، نذكر منها مكينات الخياطة الكهربائية والفرىجيديرات والمكانس الكهربائية والسيارات والإطارات والبنزين والأدوية وأدوات التجميل . وهذه السلع تعد كمالية طبعاً بالقياس إلى المواد الغذائية والملابس مثلاً . وأخيراً أضيفت إلى قائمة تلك السلع أجهزة التلفزيون والأطعمة المثلجة والأطعمة المحفوظة للأطفال . إذن من السخف وقصور التفكير أن يقال إن ثمة استغلالاً للحاجات

البشر في مثل هذا المجتمع الذى أصبحت فيه تلك السلع جميعاً مهمة بالنسبة لمستوى المعيشة ، إلى درجة تقتضى إضافتها إلى تكاليف المعيشة .

من المحقق أنه لا تزال في النظام الرأسمالى الأمريكى عيوب . ولكن من المحقق أيضاً ، استناداً إلى ما تقدم ، أن الرأسماليين لا يستغلون الشعب في أمريكا ، بل بالعكس يلاحظ أن الشعب هو الذى يستغل الرأسماليين . ومعنى هذا أن رأس المال أصبح عبد المجتمع في تلك البلاد لا سيده .

وأقوى دليل على صحة هذا الكلام الإحصاءات التى نشرتها أخيراً إدارة الاحتياطي الاتحادى ، وهى تدل على أن أربعاً من كل عشر عائلات أمريكية تزيد ممتلكاتها على ديونها بخمسة آلاف دولار على الأقل ، وعلى أن أسرة من كل عشر أسر تملك فائضاً عن ديونها قدره ٢٥,٠٠٠ دولار .

إذن من الحكمة أن يقال إن في تلك البلاد شعباً رأسمالياً ، لا مجرد نظام رأسمالى .

وثمة سؤال آخر : إذا كانت المشكلة لا تتعلق بالرأسماليين ، فهل يمكن أن يقال إنها تتعلق بالشعب نفسه ؟ . . . الأفراد ، رجالاً ونساء ، الذين يصرون على أن يبلغ مستوى معيشتهم هذه الدرجة من الارتفاع ، والذين يبذلون هذا القدر من الطاقة البشرية للوصول إليه ، لا بد أن يكونوا ماديين حتى أطراف أظافرهم !

وهذا السؤال يجزنا إلى سؤال ثالث : أليس صحيحاً أن في مقدمة مساوئ تلك القارة أن سلعها ومنتجاتها ، وعواصمها ، ومدنها ، وقراها ، تشملها وحدة قوامها شيء كثير من التشابه والتجانس ؟

سألت نفسي هذا السؤال عشرات المرات أثناء انتقالى من مدينة إلى أخرى . فقد كان بصرى يقع على نفس الإعلانات ، وكنت أسمع نفس « اللوازم » ، ويوجه إلى نفس السؤال من أناس يبدو أنهم يسلكون ، ويتصرفون ، يأخذون ويردون ، ويمرحون ، ويلهون ، بنفس الطريقة التى يسلك بها ويلهو أهالى المدينة التى جئت منها .

أين إذن الحرية التى يشدقون بها ؟ أين حرية الفرد المقدسة ؟ الواقع أن الأمريكى يعترف فى غير لف أو دوران ، وفى صراحة أقل ما يقال عنها إنها مذهلة ، بأنه يعيش فى مجتمع رأسمالى ، وأن القياسية (توحيد المقاييس والنماذج) عامل جوهرى فى أسلوب الحياة الأمريكى . ولكن إذا كان الأمريكى يعترف بمادية مجتمعه ، فإن ميله إلى التنوع شديد ، وهو يستجيب للتنوع وينفعل له على أنه شيء مفيد يعود عليه بخير عظيم .

وآية ذلك أن قوام المجتمع الأمريكى عدداً مذهلاً من الأجناس والأديان واللهجات والمصالح الاقتصادية والأفكار المثيرة . بيد أن هذا كله لا يعد فى نظر الأمريكى مشكلة يقف أمامها حائراً . ومن عجب أنه يعد

هذا الخليط ميزة كبرى !

وموقف الأمريكي من النظام السياسى المعقد ، الحير ، القائم فى بلاده ، لا يكاد يختلف عن موقفه من ذلك الخليط العجيب : لكل واحدة من الولايات الثمانى والأربعين دستورها ، وقوانينها . وهذا كله فى نظر الزائر الأجنبى ، معقد تعقيداً قد يؤدى إلى الفوضى . ولكن الأمريكى يعتقد أنه شىء مقبول وحسن ، وهو على استعداد دائماً لأن يثبت لك أنه مرتاح إلى هذا النظام السياسى الملتوى .

إن أسلوب الحياة الأمريكى قائم على هذا كله . وثمة وحدة عجيبة حقاً تشمل هذه الأمور المتنوعة ، المتباينة المتغيرة . وهذه الوحدة صلة مباشرة متينة بمثل عليا وعقائد لا نبالغ إن قلنا إنها لحمة الحياة الأمريكية وسداها . والحقيقة التى تعذر حتى اليوم على سائر شعوب العالم أن تفهمها وتستوعبها هى أن الأمريكىين يَحْيَوْنَ حياة هى مزاج من الواقعية والمثل العليا . مثال ذلك أن الرئيس الأمريكى الأسبق «ثيودور روزفلت» قال فى مستهل هذا القرن « يطيب لى التبشير لا بمذهب الراحة الكريهة ، بل بمذهب الحياة الفؤارة بالنشاط والجهد والجرأة » .

وهذه الحياة الأمريكية الفؤارة بالنشاط والجهد والجرأة أذهلتنى مثلما أذهلت غيرى ، ودعتنى إلى التساؤل مراراً : ما الداعى إلى هذا كله ؟ وأدعى من هذا إلى العجب أن الأمريكى يجدُّ فى اللعب ، ويجهد

نفسه فى الرياضة ، مثلما يجد ويجهد نفسه فى العمل . إنه يستهلك قدرًا هائلا من طاقته البشرية فى لعب الجولف والبيزبول والتنس والرحلات وصيد السمك والطيور ، ويؤثر هذا كله على رياضة المشى لأنها رياضة هينة يسيرة لا تكلفه كثيرا من المشقة والإعناء .

وبعد أن زرت عدداً من المصانع ، وفى مقدمتها مصانع فورد فى « ديترويت » ، كنت أتساءل أيضاً: إن العمل فى المصانع مجهد إلى أقصى حد . فلم يبذل الأمريكى مزيداً من الجهد فى ساعات الفراغ ، الساعات التى ينبغى أن يطيب للمرء فيها أن يخلد إلى الراحة ، ويستمتع بالهدوء ، وينعم بخلو البال ، ما وجد إلى ذلك سبيلا . ؟

وجهت هذا السؤال وغيره إلى كثيرين من الأمريكىين ، فكان الجواب واحداً تقريباً : الحياة ليست مجرد حفظ الطاقة البشرية . إن الطاقة تولد الطاقة ، وإن ساعة يقضيها المرء فى ممارسة لعبة رياضية عنيفة تنشط قواه العقلية فى صباح اليوم التالى .

إذن فالحياة الفوارة بالنشاط والجهد والحرارة هى طابع الأمريكىين ، وهى تستمد عناصرها من الضرورات العملية لقارة ما برحت بكرة إلى حد كبير ، وكذلك من مثل أعلى هو الوصول بالإنسان إلى الكمال الممكن .

المرأة الأمريكية

العالم بأسره يعرف وجوه « هوليوود » . . . القدود المشوقة ، والخصور الضامرة ، والوجوه الفاتنة الساحرة التي تعلوها تيجان من الشعر الذهبي الرائع ، والأظافر المتقنة التكوين والتلوين ، والحركات التي تخلب اللبّ وتمتّع البصر . . .

بيد أن وجوه الهوليووديات ، وأجسامهن ، وشعرهن الذهبي ، لا تمثل وجوه الأمريكيات ، وأجسامهن ، وشعرهن ، فإن شعر الكثرة الغالبة من الأمريكيات أميل إلى السمرة ، وهن لسن نحيفات كمنجوم السينما اللائي نراهن في الأفلام ، إذ تدل الإحصاءات الأخيرة على أن متوسط وزنهن زهاء ستة وخمسين كيلوجراما . ومعنى هذا أنهن « ملفوفات » في مجموعهن .

وقد تعجب إذ تعلم أن معظم الأمريكيين يؤثرون ذوات الشعر الأسمر على الشقراوات . وكنت ، قبل سفرى إلى الولايات المتحدة ، قد رأيت فيلماً عنوانه « الرجال يفضلون الشقراوات » . وبعد أن قضيت في تلك البلاد نحو شهرين اتضح لى أن العكس هو الصحيح ، وأن الفيلم لا يمثل أمزجة ثلثي الأمريكيين على الأقل ، وأذواقهم وموقفهم من بنات حواء . والفتيات الأمريكيات يؤثرن الزواج قبل أن يتجاوزن الخامسة والعشرين

فى معظم الأحيان . وأكثرهن يتزوجن عن حب ، ولا يقمن للمسائل المادية أى وزن تقريباً .

حين كنت فى سان فرانسيسكو تعرّفت فى إحدى الحفلات ، بفتاة حلوة القسمات ، جميلة التكوين ، فى عينيها ذكاء ، وخبث ، وفطنة . سألتها عن هدفها فى الحياة دون أن أسألها عن عمرها لأن الجمال لا عمر له ، فقالت فى لهجة لاأثر للتردد فيها : الزواج . . أليس هذا طبيعياً ؟ قلت : لا شك عندى فى أن جمالك قد خلب الباب عشرات من الرجال . فلاذت بالصمت هنيهة ، وارتسمت على وجهها الجميل ابتسامة فاتنة ، ثم أجابت : ولكن قلبى لم يخفق إلا لرجل واحد . قلت : لا بد أن يكون من أصحاب الملايين ، أو من ذوى النفوذ على الأقل ، أو . . . فقاطعتنى قائلة وهى تضحك : بل هو عاطل . . . إنه بلا عمل منذ أنقَضَ علينا الحب كالصاعقة . هو فى الخامسة والعشرين ، وأنا لم أتجاوز الثانية والعشرين بعد . قلت : وهل تنوين الزواج من عاطل ؟ قالت : سننتظر حتى يجد عملاً . ما الداعى إلى العجلة ؟ إنى أتقاضى عن عملى كسكرتيرة لأحد كبار رجال الأعمال مرتباً لا بأس به ، وفى وسعى أن أساعد خطيبى حتى يبتسم له الحظ . .

وشعور الرجال فى أمريكا لا يختلف عن شعور النساء فى ميدان الحب الذى يؤدى إلى الزواج . إنهم يتلهفون على الوردة والزنبقة ، ويبحثون

عن الحب النقي الخالص ، ويؤثر معظمهم الجمال على المال .

ما سر هذه العاطفة ؟ كنت أسأل هذا السؤال في كل مكان ، وكان الجواب واحداً في أغلب الأحيان : لاشك أن في مسلك الشبان الأمريكيين شيئاً من سلامة النية ، وصفاء القلب ، والبساطة ، والسذاجة . بيد أن ثمة أمراً أهم من هذا كله هو أن ثقتهم بأنفسهم قوية لا تتزعزع . إنهم لا يخشون المستقبل ، لأنهم لا يتوانون في البحث عن الوظائف ، والسعى لكسب المال . ولعلك تدهش ، مثلما دهشت ، حين تعلم أن الشاب الذي يستعد للزواج ، وإنشاء أسرة وبيت ، يكون متفائلاً مستبشراً بوجه عام .

وإذا كان الأمريكيون يتزوجون وهم في شرح الشباب ، عن حب دفين لا أثر فيه للعوامل المادية في الكثرة الغالبة من الحالات ، فإن الطلاق عندهم يبدو سهلاً . وهذه مشكلة خطيرة ، ولكن يلوح أن نسبة الطلاق بدأت تنقل شيئاً فشيئاً بدليل أن عدد الأولاد في ازدياد .

وجدير بالذكر أن المرأة الأمريكية ليست مدللة ، فهي تعمل بجهد واجتهاد ، إذ لا وجود للخدم تقريباً في الولايات المتحدة . فأنت تجد زوجات أساتذة الجامعات ورجال الأعمال والعمال ، ورجال الدين وغيرهم ، يقمن بجميع الأعمال المنزلية . أما السيدات اللائي يشغلن وظائف فإنهن يعتمدن في الاضطلاع بالأعمال المنزلية على خادمتين يعملن بضع ساعات في الأسبوع ، ويتقاضين نحو دولارين في الساعة الواحدة .

والمرأة الأمريكية لا تحب الأعمال المنزلية ، ولكنها مضطرة إلى القيام بها . وهى ، لهذا ، تقتصد من مصروفها ، ما وسعها الاقتصاد ، لتشتري غسالة أوتوماتيكية ، ومكنسة كهربائية ، وفريجيدير . فإذا تعذر عليها شراء هذه الأجهزة استعانت بزوجها . وقد قيل لى أن أكثر من ثلثى الأزواج الأمريكيين يغسلون الأطباق ، ويساعدون فى الطهى . .

وللمرأة الأمريكية دورٌ لا يستهان به فى حلبة السياسة ، فعُصبة الناخبات تضم الآن أكثر من مائة ألف عضو من السيدات المعنّيات بالشئون العامة . ومجلسا الكونجرس يضمّان عدداً من السيدات . وتبين خلال الانتخابات النيابية الأخيرة أن المرأة لعبت فيها دوراً على أعظم جانب من الأهمية .

والخلاصة أن المرأة الأمريكية تضطلع بمسئولية اجتماعية كبيرة . والحديث عن المرأة الأمريكية والزواج يجرنا ، بطبيعة الحال ، إلى الحديث عن الحب بوجه عام . وأول ما يلاحظ هنا أن أمريكا تبدو كأنها البلد الوحيد فى العالم الذى يُعَدُّ فيه الحب مشكلة قومية . فأنت لا تجد شعباً آخر فى العالم يخصص وقتاً طويلاً لدراسة العلاقات بين الرجال والنساء على نحو ما يفعل الشعب الأمريكى .

والحب الأمريكى كالديمقراطية الأمريكية . . . إنه شىء جميل عظيم ، بيد أنه ليس خلواً من الشوائب وعوامل الضعف والوهن ، شأنه



المؤلف يسأل خمس شابات أمريكيات : كيف يمكن أن يكون الحب سلعة .. ؟

فى ذلك شأن الديمقراطية التى لا تخلو من الأمراض . وإذا كان الساسة فى أمريكا يبذلون قصارى جهدهم للوصول بالنظام الديمقراطى إلى درجة الكمال الممكن ، فإن أفراد الشعب الأمريكى لا يدخرون وسعاً فى سبيل الوصول بالحب إلى أقصى درجات الصفاء .

والسر فى نجاح الديمقراطية الأمريكية والحب الأمريكى فى ميدان التطبيق العملى هو التغاضى عن كثير من الأدواء والأخطاء والعثرات ، والاعتناع بأن الكائنات البشرية لا يسعها أن تخضع لنظام على نمط واحد فترة طويلة من الزمن . ولكن هذا لا يمكن أن يرضى أمة تؤمن بالكمال ، وتسعى إليه سعياً حثيثاً مطرداً ، على الرغم من إيمانها . فى الوقت نفسه ، بفلسفة الذرائع ، واتجاهها اتجاهاً عملياً أولاً وقبل كل شىء .

وثمة قرائن عديدة حملتني على الظن أن الأمريكيين يميلون إلى الاعتقاد أن فكرة الحب ينبغي أن تباع للشعب كسائر السلع التى تعرض فى المتاجر . ومرد اعتقادهم هذا ، فيما يبدو لى ، إلى إيمانهم بأن الحب شىء ينبغى أن تتاح لأفراد الشعب جميعاً فرصة الظفر به ، وأن تكرار كلمة « الحب » يجعلها ترسخ فى العقل الباطن أو اللاشعور . . إنها تغزوه مثلما تغزوه أسماء الأدوية وأدوات التجميل والأدوات الكهربائية المنزلية التى يكثر الإعلان عنها فى الصحف .

وكنت أسمع الحاناً فوارة بالحب كلما أدرت جهاز الراديو فى غرفتي

بالفندق ، سواء في نيويورك أو واشنطن أو سان فرانسيسكو أو نيو أورلينز .
وأعتقد أن ما من بلد في العالم أجمع يستهلك مثل هذا العدد من الأغاني
الغرامية . وسواء أكانت مرحلة أم تفيض شوقاً وحنيناً ، أم كان اللحن نفسه
حلوّاً أو عادياً ، وسواء أكان النظم رائعاً أم تافهاً ، فإن الفكرة التي تدور
حولها الأغنية هي الحب ، ولا شيء غير الحب !

والواقع أن هذه الرومانتيكية اللذيذة التي يجد الزائر نفسه غارقاً في
جوّها إن هي إلا مظهر من مظاهر التفاؤل والاستبشار في تلك البلاد .

أمريكا والشرق الأوسط

الشرق الأوسط في عرف الخبراء الأمريكيين بالشئون الدولية ، هو المنطقة التي تضم مصر والسودان ولبنان وسوريا والعراق والأردن والمملكة العربية السعودية وإمارات الخليج الفارسي واليمن وإيران وإسرائيل .

ويزداد اهتمام السياسة الأمريكيين بالشرق الأوسط على مر الأعوام . ومرد هذا الاهتمام إلى أن لأمريكا مصالح اقتصادية كبيرة في هذه المنطقة . وقد أوضح لى بعض أولئك الساسة ، أثناء وجودى فى واشنطن ، هذا الاهتمام فقالوا إن ما تضعه أمريكا نُصَبَ عينها هو معاونة شعوب هذه المنطقة على النهوض اقتصادياً واجتماعياً ، وتقوية وسائلها الدفاعية ، والتعاون دفاعيا داخل نطاق الأمم المتحدة .

كذلك يرجع اهتمام الولايات المتحدة بهذه المنطقة إلى أن اتجاهات شعوبها تؤثر تأثيراً قويا بعيد المدى في اتجاهات كثير من الشعوب الأفريقية والآسيوية .

وكان الرئيس أيزنهاور قد قال في إحدى المناسبات قبل توليه الرئاسة في يناير عام ١٩٥٢ : « إن الشرق الأوسط أهم منطقة في العالم من الناحية الاستراتيجية » .

وأهداف السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، كما فهمتها من المصادر

الرسمية الأمريكية في واشنطن ، هي إقرار السلام ، وتوثيق التعاون بين دول هذه المنطقة والدول الغربية ، وإرساء نظم الحكم على أسس ديمقراطية سليمة ، وتمهيد السبيل لتدابير دفاعية إقليمية .

وهنا يقول مستر « هنرى بايرون » ، السفير الأمريكى الجديد في مصر والمساعد السابق لوزير الخارجية الأمريكية ، في حديث أذيع في أواخر عام ١٩٥٣ : « هناك عوامل كثيرة تبعثُ على التفاؤل في شئون أمم الشرق الأوسط . . . ففي كل بقعة من هذه المنطقة فيض من البوادر المشجعة . . . » . ثم يقول : « إن الهدف الرئيسى للولايات المتحدة حيال أمم هذه المنطقة من العالم ، هو أن تفعل كل ما في وسعها لتحقيق التفاهم والاحترام المتبادلين بين الولايات المتحدة وسائر هذه الدول . وليس ثمة ريب في أن كثيراً من الشعوب تتشكك في نيائنا ونسئء فهم ما نحاول القيام به . فهذه الشعوب — مثلاً — تكره الاستعمار كراهية أصيلة لها ما يبررها . ومن ثمَّ فليس مما يثير الدهشة أن تضرب الدعاية الشيوعية في تلك المنطقة على وتر خاص هو ما تزعم من أن الولايات المتحدة تحاول إخضاع تلك الدول عن طريق الاستعمار الاقتصادي والأحلاف العدوانية العسكرية ، وغير ذلك من العبارات البراقة التي برع الشيوعيون في استغلالها ليخدعوا الشعوب . وأعتقد أننا قد أوضحنا أننا لا نضمّر شيئاً من هذه الأغراض » .

وبانتهاء عهد ترومان ، بدأت السياسة الخارجية للحكومة الأمريكية الجديدة تتغير ، وأخذ الرئيس أيزنهاور ينظر إلى الدول العربية جمعاء نظرة جديدة تتفق وأهميتها في المحيط الدولي بما يحقق السلام والمودة في الشرق الأوسط ، وطفق يتبع سياسة فيها شيء كثير من التجاهل لسياسة «ترومان» التي كانت أقوى سند للاستعمار .

وتجلّت هذه السياسة الجديدة في قول مستر «بايرود» أن الاضطرابات والتيارات الخفية في الشرق الأوسط تجعل من العسير علينا جداً أن نصل إلى أهدافنا . وكثير من دول هذه المنطقة لم تظفر باستقلالها إلا منذ عهد قريب . وهي ، لهذا ، جد حريصة على سيادتها القومية ، شديدة الارتياح في النفوذ الأجنبي ، لأنها ظلت أعواماً عديدة تحت نير الاحتلال . «
ثم ازدادت تلك السياسة وضوحاً حين أبلغ الرئيس أيزنهاور الأمير فيصل آل سعود ، أثناء اجتماعهما في واشنطن خلال شهر أبريل عام ١٩٥٣ - على ما أذكر - أنه مهتم بتحسين العلاقات التي ساءت بين العرب والولايات المتحدة في الأعوام الماضية ، وأنه سيُسعى كل العناية بإعادة الثقة التي كانت تتسبّم بها هذه العلاقات ، ويأمل أن يعاونه زعماء البلاد العربية على بلوغ هذه الغاية .

وهكذا شرعت حكومة أيزنهاور في السعى إلى بلوغ أهدافها في هذه المنطقة . وكان أهم مسعى قامت به في هذا الشأن توسطها لفض النزاع

المصرى الإنجليزى معتمدة اعتقاداً قوياً أن مصر أهلٌ للتأييد فى عهد
الحديد ، عهد النظام والاتحاد والعمل ، عهد القوة الذاتية والقوة الدولية ،
وموقنة أننا لن نرضى بغير الجلاء التام بديلاً ، ولن يهدأ لنا بال أو تغمض لنا
عين إلا بعد أن يخرج آخر جندى إنجليزى من منطقة قناة السويس ،
وإلا بعد أن تكون سيادتنا على كل شبر من أراضينا وجوَّنا ومياهنا كاملة
لا تشوبها شائبة مهما ضؤلت .

ولاشك أنه كان للوساطة الأمريكية أثرها فى اتفاق الحكومتين المصرية
والبريطانية على مسألة السودان ، وفى الاتفاق على الجلاء عن منطقة القناة .
وكان دافع حكومة واشنطن إلى هذه الوساطة أن ثورتنا المباركة جعلتنا أمة
جديرة باحترام الدول . وفى هذا قال بايرود : « إن الأهداف السياسية
والأعمال التى يقوم بها رجال العهد الحديد فى مصر جديرة بتأييدنا التام ،
فلقد اضطلعوا بِسْمِهِمَّةِ القضاء على الفساد والرشوة فى الأداة الحكومية ،
واهتموا بالإصلاحات التى تعود بالنفع على المصريين جميعاً . . . وينبغى
أن نكون جميعاً على استعداد لمعاونة مصر على بلوغ أهدافها . . . »
وهذا اعتراف صريح بنعم الثورة علينا ، وبأن حكومتنا قوية تعرف
ما تريد ، وتتأهب لكل طارئ ، وتقدر حقوق الشعب .

ولقد رأيت ، بَعِيدَ الاتفاق على الجلاء بفضل الموقف الحازم العظيم الذى
وقفه بطل الجلاء الرئيس جمال عبدالناصر وأعوانه الأبرار ، مما حقق لنا أمانيتنا

الوطنية الجهورية وهى استكمال حريتنا واستقلالنا — رأيت أن أزور مستر « جيفرسون كافرى » ، السفير الأمريكى السابق فى مصر ، لعلنى أظفر منه بما يأتى مزيداً من الضوء على الدور الذى اضطلع به فى تلك المباحثات . وتمت الزيارة فى السادس من أغسطس عام ١٩٥٤ . قلت : ما رأيك فى اتفاق الجلاء ؟ قال : إنى مغتبط بهذا الاتفاق أيما اغتباط ، فقد أزال شيئاً كالسحابة السوداء . وأهميته من الناحية السيكلوجية لا تقل عن أهميته من الناحية المادية . ومضى مستر « كافرى » يقول : « أنت تعرف أننى أحب الرحلات . وقد قمت برحلات عديدة وطويلة منذ وليت هذا المنصب . ولم أكن أسمع فى الماضى ، أثناء رحلاتى ، كلاماً كثيراً عن الجلاء . ولكن اتضح لى خلال العامين الماضيين أنكم أصبحتم أكثر اهتماماً بهذه المسألة » .

قلت « لعلك ترى معى ياسيدى أن مرد هذا الاهتمام خلال العامين الأخيرين إلى أن الوعى القومى تبلور على نحو لم يسبق له مثيل بفضل توحيد صفوفنا ، وتعاوننا الصادق ، والقضاء على تجار السياسة والاستغلاليين والانتهازيين وأعوان الاستعمار الذين كانوا يضعون مصالحهم الشخصية فوق مصالح الوطن .

وقلت « إننا نعرف جميعاً أنه كان « لمساعدك الحميدة » — وهو التعبير الذى تؤثره على كلمة الوساطة — أثر طيب فى إزالة كثير من العقبات التى اعترضت سبيل المباحثات . فهل لى أن أظفر منك بتصريح عن هذه المساعى الحميدة ؟

(١٠)

أجاب في تواضع جم : « من بواعث الغبطة لى أننى أديت واجبي فى هذا المجال » .

وقبيل تخليه عن منصبه أدلى إلى صديقى مستر « وولتر كولينز » ، المدير العام لوكالة اليونائيتد بريس فى الشرق الأوسط ، بتصريح قال فيه : « إبنى مؤمن بأن حكومة الرئيس جمال عبد الناصر ستوفق فى نضالها للنهوض باقتصاد البلاد ، وأن الحكومة الأمريكية قدّمت الدليل على إيمانها بذلك حين منحت مصر معونة اقتصادية » .

واستطرد مستر « كافرى » قائلا « إن نجاح النظام الجديد فى مصر أو فشله يرتهن فى نهاية الأمر بنهضة البلاد الاقتصادية ، وإبنى واثق من أنه سينجح » .

ثم قال « . . . ليس أمام مصر الآن من المشكلات الكبرى سوى المشكلة الاقتصادية . وقد أعجبت بسرعة الحكومة الحاضرة وصدق عزمها على زيادة وسائل الإنتاج ، سواء فى ميدان الزراعة أو الصناعة ، لتهيئة حياة أفضل للشعب المصرى . وستوزن أعمال الحكومة آخر الأمر بمدى نجاحها أو فشلها فيما تضطلع به فى هذه الناحية . ولكنى مؤمن بأنها ستنجح ، فإن هذه الجهود الضرورية الضخمة التى تبذل لا تمثل قوة تصميم الحكومة فحسب ، ولكنها تمثل كذلك إرادة الشعب ورغبته فى أن يهيئ لنفسه حياة أفضل . . . »

أمريكا والعالم

فى الفترة بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٥٠ كان ساسة الولايات المتحدة يُركّزون اهتمامهم فى مساعدة الدول التى تربطها بأمريكا روابط الصداقة على النهوض اقتصاديا . وقد تجلّى ذلك الاتجاه ، أكثر ما تجلّى ، فى مشروع « مارشال » وفى برنامج الإنعاش والتعمير وغيره من البرامج التى رصدت لها واشنطن زهاء عشرين ملياراً من الدولارات .

وكانت مسائل الدفاع عن العالم الحر من الناحية العسكرية تأتى ، خلال تلك الفترة ، فى المرتبة الثانية . ومردُّ ذلك ، فيما يبدو ، إلى أن احتكار الولايات المتحدة للطاقة الذرية وقتئذ كان يحول دون الخوف من أن يحاول السوفييت إشعال أية حرب جديدة .

وكان الساسة الأمريكيون ، خلال بضعة الأعوام التى تلت عام ١٩٤٠ ، يعتقدون أن فى الإمكان وقف التوسع الشيوعى بتمكين الدول المعرضة له من النهوض اقتصاديا واجتماعيا .

ولكن حدث فى الخامس والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٥٠ أن اجتاز الشيوعيون الكوريون خط العرض الثامن والثلاثين . وكان ذلك الهجوم نقطة تحول فى الخطط الاستراتيجية الأمريكية .

فقد رأت الولايات المتحدة لزاماً عليها أن تتخذ عدداً من القرارات

السريعة ، وأن تتزعم مجموعة من الأمم بدأت آنئذ تطلق عليها اسم « العالم الحر » ، وذلك في حركة ضخمة استهدفت توفير وسائل الدفاع العسكري . ذلك أن نجاح الاتحاد السوفيتي في صنع القنبلة الذرية ، والهجوم الذي شنه الكوريون الشيوعيون الشماليون ، أقنعا سياسة واشنطن بأن سياسة الاقتصاد على تقديم العون الاقتصادي ، التي اتبعوها حتى عام ١٩٥٠ ، لم تكن مجدية .

وفي ربيع عام ١٩٥١ ، أفضى المتحدثون الرسميون باسم الحكومة الأمريكية بتصريحات يفهم منها أنه إذا اصطدمت « الحاجات الدفاعية » لحلفاء أمريكا الرئيسيين « بالحاجات المدنية » وجب الاهتمام بشئون الدفاع أولا .

وفي الخامس من شهر مارس عام ١٩٥٣ توفي ستالين . وعلى إثر ذلك شرعت روسيا تقوم بحملة سلمية ممددعاني وقتئذ إلى أن أقول ، في تعليقي اليومي على الأحداث الدولية في « الأهرام » ، إن سياسة مالنكوف يمكن أن تُعَدَّ نَسْبَةً لسياسة ستالين إلى حد كبير . وكان دليلي على ذلك أن رجال الكرملين ساهموا بنصيب كبير في إنهاء الحرب الكورية ، وبدأوا يتحدثون عن إمكان « المعاشة » بين المعسكرين الشيوعي والغربي .

وفي غضون ذلك اشتد التسابق في ميدان التسليح بالقنابل والأسلحة الذرية والقنابل الهيدروجينية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .

وبدأنا نتلقى أنباء عن أسلحة جديدة رهيبة : قاذفات قنابل ذرية ضخمة تقطع آلاف الأميال دون توقف ، وطائرات موجهة باللاسلكى لقذف شتى أنواع القنابل ، وصواريخ من مختلف الأحجام . . الخ .
وكان من أثر هذا كله أن أصبح من المحقق أن إشعال حرب جديدة سيكون مغامرة على أعظم جانب من الخطورة .

وهكذا بدأ الرأى العام العالمى يميل إلى الاعتقاد أن ثمة بصيصاً من الأمل فى الحيلولة دون نشوب حرب عالمية جديدة يشتبك فيها المعسكران الشيوعى والغربى . ولقد أعرب الرئيس أيزنهاور وأعضاء مجلس الأمن القومى الأمريكى عن هذا الأمل . وقال الرئيس الأمريكى فى التاسع من شهر ديسمبر عام ١٩٥٤ ، إن فرص السلام الآن خير منها يوم ترك جامعة كولومبيا فى غضون عام ١٩٥٠ ليتولى قيادة قوات حلف الأطلنطى . وفى السابع عشر من الشهر نفسه قال « إن أمل الإنسانية فى السلام قد ازداد اليوم إشراقاً » . ولكنه استدرك قائلاً « إن أمريكا تتحدث عن سلام يقوم على أساس من الكرامة والحقوق الإنسانية . ولكن لا يظنن أحد أننا نريد السلام بأى ثمن ، أو أننا سنتخلى عن المبادئ فى سبيل التسامح مع شرٍّ ظاهر ، أو أننا سنمتنن كرامتنا مقابل حل وقى . »
وفى مستهل شهر يناير عام ١٩٥٤ ، قال الرئيس أيزنهاور فى رسالته إلى الكونجرس ، بمناسبة افتتاح الدورة البرلمانية الثالثة والثمانين ، إن برنامجه

في السياسة الخارجية ليس إلا استمراراً للأهداف الرئيسية التي توختها حكومة ترومان الديمقراطية في سياستها الخارجية ، مع طائفة من التعديلات اقتضاها عصر الذرة . وقال في هذا الشأن إن الدفاع الأمريكي سيكون أشد قوة إذا اطلعت أمريكا حلفاءها على بعض الأسرار الذرية . ثم قال إن القوة الذرية الأمريكية أوجدت صلة جديدة بين القوى البشرية والقوى المادية ، وإن الاحتياطي الاستراتيجي الأمريكي ينبغي أن يعدّ إعداداً يتيح استخدامه على الفور عند الاقتضاء .

وقد رأى أيزنهاور لزماً عليه أن يفضي بذلك التصريح آنئذ من جرّاء ما أحس به حلفاء أمريكا ، وكثير من الأعضاء الديمقراطيين في الكونجرس الأمريكي ، من قلق مردّه إلى القرار الذي كانت الحكومة الأمريكية قد اتخذته بسحب فرقتين من كوريا وخفض القوات البرية ، والاعتماد في الدفاع على القوات الجوية والأسلحة الذرية .

وليس من شك في أن سياسة الولايات المتحدة خلال عام ١٩٥٤ كانت عاملاً أساسياً في توثيق عرى الوحدة بين جميع مناطق العالم غير الشيوعي . ولقد تجلت التبعات التي قبلت الولايات المتحدة الاضطلاع بها في حلبة الشؤون الدولية ، خلال مؤتمرات برلين وجنيف ولندن وباريس ومانيلا وكراكاس . وكان من أثر هذا كله أن استطاع الرئيس أيزنهاور أن يقول إن فرص السلام الآن (ديسمبر عام ١٩٥٤) أكبر منها في أي وقت



المؤلف يتحدث إلى مستر هنرى بايرود في مكتبه بوزارة الخارجية
في واشنطن قبل تعيينه سفيراً للولايات المتحدة في مصر

آخر خلال السنوات الأربع الأخيرة . ففي أوروبا أيدت الولايات المتحدة ، ما وجدت إلى التأييد سبيلا ، المشروعات التي استهدفت توسيع نطاق الوحدة في تلك القارة حتى تشمل جمهورية ألمانيا الاتحادية الغربية . وهذه المشروعات شملت الاتفاقات التي جرت المفاوضات بشأنها في لندن وباريس خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر من العام نفسه . وفي الوقت ذاته ، قامت الولايات المتحدة بدور كبير في القارة الآسيوية إذ اشتركت مع دول أخرى غير شيوعية في معاهدات استهدفت تحقيق السلام والاستقرار في تلك المنطقة .

ولم يدع جون فوستر دالاس ، وزير الخارجية الأمريكية ، مجالا للشك في أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة ستظل كما كانت منذ وإلى الجمهوريون الحكم ، على الرغم من أن زمام الموقف في الكونجرس قد انتقل من أيدي الجمهوريين إلى أيدي الديمقراطيين . وألقى دالاس مزيداً من الضوء على تلك السياسة إذ قال « لا تزال عند الروس قوى عسكرية تزيد على حاجتهم الدفاعية . وما برح شيوعيو الصين يقرّفون أعمال العدوان . وفي كل بلد حر جهاز شيوعي يعمل على قلب نظام الحكم القائم . ومن ثم يقضى الواجب علينا بأن نبقى يقظين . ونحن نعتقد أن أكبر مساهمة في إقرار السلام تكون بالاستعداد للقتال إذا مست الحاجة إليه . لهذا عملنا على إنشاء دفاع عن قارتنا يتألف من عدة أنظمة دقيقة للإنذار وحواجز

استُخدِمَ فيها العلم الحديث ، مما يمكننا من إنزال الهزيمة بقاذفات الحمر إذا اشتبكت في قتال مع الولايات المتحدة .

وتحدث دالاس عن موقف الولايات المتحدة من الصين الشيوعية في خطاب ألقاه في الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٩٥٤ ، فقال إن الحكومة الأمريكية ستستنفد جميع الوسائل السلمية في تصرفاتها مع الصين الحمراء ، بدلا من الالتجاء إلى الأعمال العسكرية للانتقام منها لأنها سجنّت ثلاثة عشر أمريكيا بتهمة التجسس . ولم يكتف دالاس بهذا بل أعرب كذلك عن مخاوفه من اتخاذ تدابير مسلحة ضد الصين الحمراء خشية أن ينشأ عنها اختلال في ميزان السلام العالمى وانقسام العالم الحر على نفسه . ثم قال « لن نسمح لأنفسنا بأن نروح ضحية الاستفزاز ، فترتكب عملا يكون فيه نقض لالتزاماتنا الدولية وإضرار بحلف الدول الحرة . فربما كانت الشيوعية الدولية تجرب وسيلة جديدة لتفريق كلمة شعوب العالم الحرة » .

وقد عدّ ذلك الخطاب بمثابة رد رسمى من الحكومة الأمريكية على الحملة التى قام بها إذ ذاك السناتور « وليم نولاند » ، زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ الأمريكى ، مطالباً باتباع سياسة أكثر شدة مع الاتحاد السوفيتى والصين الشيوعية . وقد اتضح أن وزير الخارجية الأمريكية ألقى ذلك الخطاب تحقيقاً لرغبة أبداها أيزنهاور الذى تدل جميع القرائن على

أنه يحاول جاهداً أن يزيل كل ما يمكن أن يكون قد علق بالأذهان في الولايات المتحدة ، وفي سائر أنحاء العالم ، من مخاوف أساسها الاعتقاد أن النتائج التي أسفرت عنها الانتخابات الأمريكية من شأنها أن تحمل حكومة واشنطن على إعادة النظر في سياستها الخارجية .

وقد نشرت مجلة « نيشانز بيزينيس » ، في عددها لشهر يناير الماضي ، فصلاً كتبه دالاس عن أهداف الولايات المتحدة في عام ١٩٥٥ ، فقال : إن هذه الأهداف هي صونُ السلام والمحافظة على الأوضاع الأساسية لقوة العالم الحر . وأضاف إلى ذلك قوله : « إن أى تقدم نحققه مع زعماء الشيوعية في عام ١٩٥٥ سيتم ونحن في مركز قوى لا في مركز ضعيف . وسنجتمع بهم ونفاوضهم متى استطاعوا إقناعنا بأن معنى السلام في لغتهم لا يختلف عن معناه في اللغة العالمية التي تفهمها الأمم الحرة . » ثم قال إن الولايات المتحدة ودول العالم الحر تستهدف عقد معاهدات كتلك التي أبرمت أخيراً مع جمهورية الصين (الوطنية) ، وبذل الجهود للحيلولة دون نشوب حرب عالمية ثالثة ، والاحتفاظ بالقواعد فيما وراء البحار وتعزيزها . ولقد قال الرئيس أيزنهاور في رسالته عن حالة الاتحاد « لقد قطعنا شوطاً طويلاً في سبيل الانتقال إلى اقتصاد سلمى . والحالة الاقتصادية تبشر بخير عميم » .

وهذه العبارة تلفت النظر وتثير الانتباه والاهتمام ما في ذلك شك ،

لأن قطع شوط طويل في سبيل الانتقال إلى اقتصاد سلمى معناه أن الرئيس الأمريكي ورجال حكومته يميلون إلى التفاؤل فيما يتعلق بتطور الحالة الدولية على الرغم من أن الموقف لا يخلو من الخطورة في بعض المناطق ، ويعتقدون أن ثمة أملا في تجنب البشرية أهوال حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل بشتى أنواعها وفي مقدمتها القنابل الذرية والهيدروجينية ، وأن التفاهم السليم الخالص الصادق بين المعسكرين الشرق والغرب ليس من رابع المستحيالات ، وأن الفرص ما برحت مواتية للتخفيف من شدة الحرب الباردة و التوتر الدولى .

ولا تنطوى رسالة أيزنهاور إلى الكونجرس على شىء يوحي بأن الأحداث والتطورات التى حفل بها عام ١٩٥٤ قد حدثت بالحكومة الأمريكية إلى إدخال أى تعديل على سياستها الخارجية وخلاصتها ضمان السلام وتعزيزه بالقوة ، أو سياستها الداخلية وخلاصتها توفير عوامل الرخاء فى ظل حكومة يقظة ، إذ الواقع أن أيزنهاور لم يقترح على الكونجرس إلا تنفيذ سياسة قائمة فعلا لا وضع منهج جديد .

وواضح كل الوضوح أن سياسة أمريكا الخارجية باقية كما هى ، لم يطرأ عليها أى تبدل أو تعديل ، فهى تستهدف الاحتياط والاستعداد لمواجهة أى عدوان شيوعى سافر أو نشاط هدام مستتر خفى ، مع التأهب ، فى الوقت نفسه ، للتفاوض بغية الاهتداء إلى الوسائل الكفيلة بإقرار السلام

وتوطيد أركانه ، وهى ترمى إلى تأييد الأمم المتحدة وتمكينها من الاضطلاع بالرسالة السامية الموكولة إليها ، وبذل كل جهد ممكن فى سبيل نزع السلاح ، وتسخير الطاقة الذرية للأغراض السلمية ، وتحرير التجارة الدولية.

وفى هذا يقول الرئيس الأمريكى : « لقد حدث فى العام الماضى تقدم يبرر الأمل فى استمرار السلام ، وفى أن تسود العالم الحرية والعدالة آخر الأمر . ولقد أصبحت الأمم الحرة مجتمعة أقوى الآن منها فى أى وقت آخر خلال الأعوام الأخيرة » . ثم يقول « وأخيراً أصبح العالم فى سلام ، بيد أنه سلام غير مستقر ، غير أن البشرية كلها تجد فى هذه الحقيقة البسيطة ، وهى أن وجه الأرض خلا من المعارك الكبرى فترة من الزمن ، حقيقة تبعث على الأمل ، وهذه الحقيقة نفسها تدفعنا إلى مضاعفة جهودنا مع جهود الأمم الأخرى فى سبيل البشر . . إن هذه الأحداث مشجعة حقاً ، وأملنا فى اطراد التقدم كبير ، بيد أن هناك مشكلة ذات بال ، فأداة الكتلة الشيوعية العسكرية الضخمة وأطماعها لا تزال تشيع القلق فى العالم » .

ومعنى هذا أن أيزنهاور يرى أن السلام لا يزال غير ثابت الأركان ، على الرغم مما ذكره عن الانتقال إلى اقتصاد سلمى ، وأنه لا بد من الكفاح فى سبيل إرساء السلام على أساس دائم ثابت لمنع وقوع الكارثة الذرية .

أما ما يحتمه هذا كله فى الداخل فهو ذو شقين : أولهما حاجة الرئيس الأمريكى إلى تأييد ممثلى الحزبين الكبيرين الديمقراطى والجمهورى ، والثانى

الاستمرار في تعزيز وسائل الدفاع القومي اتقاء للعدوان الخارجي والتخريب الداخلي على السواء ، ومن ذلك زيادة القوات المسلحة مرونة وقابلية للتحرك السريع ، ومضاعفة كفايتها ، مع العناية بالأسلحة الجوية والأسلحة الحديثة بوجه خاص .

ولقد حصل أيزنهاور على وعد من الحزبين بتأييده في كل ما يتصل بالشئون الخارجية وشئون الدفاع ، ومعنى هذا أن التعاون بين الحكومة والكونجرس سيكون مشمراً في هذين الميدانين وفي سائر الميادين ، على الرغم من أن زمام الموقف في الكونجرس قد انتقل أخيراً من أيدي الجمهوريين إلى أيدي الديمقراطيين .

يطيب لى أن أقدم جزيل شكرى إلى كل من عاوننى على إخراج
هذا الكتاب ، وأخص بالذكر الزملاء الكرام الأساتذة نجيب كنعان ،
السكرتير العام لتحرير « الأهرام » ، وفايق لطف الله وعمر عبد العزيز
أمين وأحمد عادل المحررين بالقسم الخارجى ، ثم الصديق الوفى الأستاذ
زهير الكزبرى ، ضابط الاستعلامات بمركز الأمم المتحدة فى الشرق
الأوسط .

ج . ع .

كتب أخرى للمؤلف

نهر و

- | | |
|-----|-----------------------------|
| نفد | من مشكلات العصر الحديث |
| نفد | فرويد والتحليل النفسى |
| نفد | قوى الموت : بلجى دى موباسان |
| نفد | تراجم موجزة |

تحت الطبع

اعرف نفسك بنفسك
العالم الأحمر
الحرب الباردة

الحب سلعة

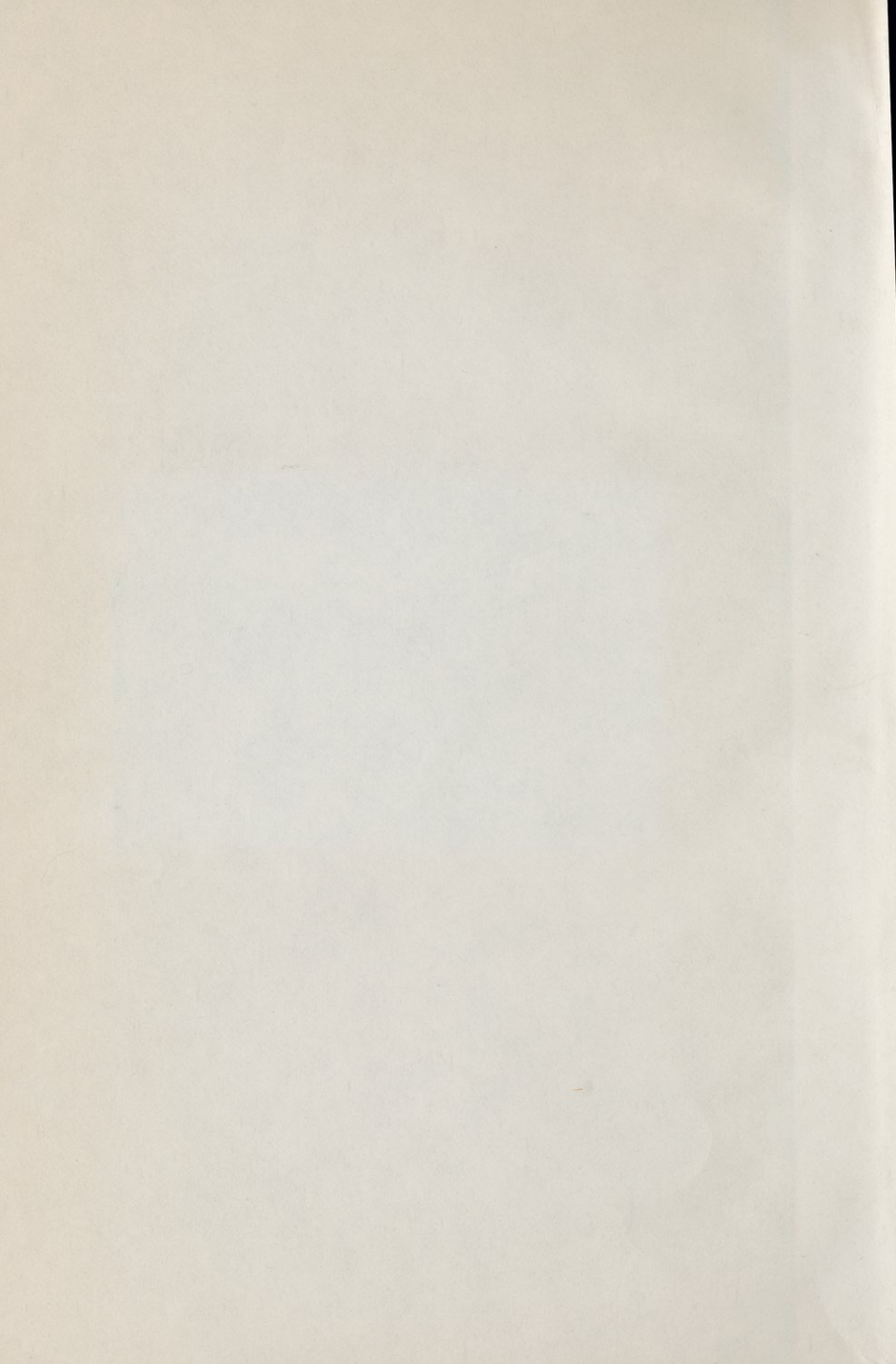
العالم بأسره يعرف وجوه هوليوود ... القدود الممشوقة ،
والخصور الضامرة ، والوجوه الفاتنة الساحرة التي تعلوها
تيجان من الشعر الذهبي الرائع ، والأظافر المتقنة التكوين
والتلوين .

بيد أن وجوه الهوليووديات ، وأجسامهن ، وشعرهن
الذهبي لا تمثل وجوه الأمريكيات وأجسامهن وشعرهن ...
فإن شعر الكثرة الغالبة من الأمريكيات أميل إلى السمرة ،
وهن لسن نحيفات كنجوم هوليوود . . .

... ثمة قرائن عديدة حملتني على الظن أن
الأمريكيين يميلون إلى الاعتقاد أن فكرة الحب ينبغي
أن تباع للشعب كسائر السلع ! ! .

* * *

... أما أناقة النيويوركيات فحدث عنها ولا
حرج ، وهن يذكركن بالباريسيات واللندنيات في وقت
واحد . قالوا : باريس ترقص ، وروما تغنى ، ولندن تعمل ...
وفاتهم أن يقولوا إن نيويورك ترقص ، وتغنى ، وتعمل .
في آن .



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

